

ظلال الغرائب



تأليف
فاطمة فتوح

ظلّ الغرام

اسم الكتاب: ظلّ الغرام

المؤلف: فاطمة فتّوح

الطباعة والتوزيع: مكتبة الحمد

التدقيق الكامل: سِدرة المُفلس

التنسيق الداخلي: إيناف يحيى

تصميم الغلاف: فاطمة فتّوح

سنة النشر: 2026

فاطمة فتّوح

 +963 992 481 213

 @fatima_ahmad_fatoooh

 @Fatima Fatooh

مكتبة الحمد



@ALHAMDLIBRARY

Fatouh

© جميع الحقوق محفوظة لدى المؤلّفة،

ولا يُسمح باقتباس أو نسخ أيّ جزءٍ من هذا الكتاب دون إذنٍ مسبقٍ من المؤلّفة.

ظلّ الغرام



إهداء..

أَقْدِمُ نَجَاحِي إِلَى كُلِّ مَنْ دَعَمَنِي مِنْ بَدَايَةِ مَسِيرَتِي إِلَى الْآنَ، وَأَيْضًا
لِإِخْوَتِي وَوَالِدَيَّ الَّذِينَ دَعَمُونِي فِي كُلِّ خُطْوَةٍ، وَجَعَلُونِي أُعَشِّقُ
كَلِمَاتِي وَأَتَّقُ بِنَفْسِي فِي كُلِّ حَرْفٍ أَخْطُهُ، وَلَمْ أَنْسَ مَنْ كَانَ مَعِي
فِي كُلِّ خُطْوَةٍ وَمَنْ بَيْنَهُمُ الْمَدَقِّقَاتُ الْقَرِيبَاتُ مِنْ قَلْبِي
رَامَا الشَّمَاعُ، وَثَوَابُ الْعَسَلِيِّ وَسِدْرَةُ الْمُفْلِسِ صَدِيقَاتِ الْكَلِمَاتِ
وَالْحُرُوفِ، وَتَبَقَى كَلِمَتِي الْأَخِيرَةُ لَوْلَا دَعْمُ وَالِدِي وَاهْتِمَامِهِ،
وَحَبَّ أُمِّي لَمَا كُنْتُ مَا عَلَيهِ الْيَوْمَ.

المقدمة

بين القانون والجريمة، والانتقام والكراهية، يخلق الله حباً
عظيماً وسط الظلام، رغم التحديات الكبيرة، وفي كل
مهمة يحدث شيئاً يخلده التاريخ.
كتبت قصة حبٍ مستحيلة، فهل ستكمل؟ أم ستكون
مجرد حلمٍ صعب المنال؟

Fatouh

ظل الغرام

في مكانٍ يسوده الظلامُ، هناك شابٌ يدعى كيانُ، أَسْمَرُ الوجهِ بعينينِ خضراوتينِ وحاجبانِ كالسيفِ، وغمَازةٌ تزيّنُ خدّه، ذا جسمٍ رشيقٍ.
بينما كان يمارسُ رياضةَ الملاكمةِ، فجأةً ظهرت ملامحُ الغضبِ على وجهه عندما أتاهُ اتصالٌ.

كيان: ماذا بك؟؟ اللعنةُ، سأكونُ عندك بعدَ دقائقٍ.
أنارَ الغرفةَ التي لم تنرها أضواءُ العالمِ أجمعٍ.
دخلت فتاةٌ إلى مركزِ الشرطةِ، بيضاءُ الوجهِ، بعينينِ سوداوتينِ كالليلِ، وشعرٌ أسودٌ كالظلامِ الحالِكِ، تلفتُ الانتباهَ، كلُّ مَنْ يراها يعشقُ ملامحها الطفوليّةَ وقوّةَ شخصيّتها.
تضربُ تحيّةً وتدخلُ على قاعةِ الاجتماعاتِ.
الضابطُ: ملاكُ، لديكِ مهمّةٌ خارجُ البلادِ، عليكِ أن تتبّعي شخصيّةً في المافيا، هناك فتاةٌ ستلتقي بكِ وتدخلكِ إلى عالمِ المافيا، تدعى ملك.
ملاكُ بابتسامةٍ خفيفةٍ: جاهزةٌ، لكن أتمنّى أن يبقى اسمي ملاكُ كما هو... لا بأس، سأرى التفاصيلَ في مكّتي.
الضابطُ بابتسامةٍ: ثقتكِ تُعجبني.
نظرتُ لهُ بابتسامةٍ وخرجتُ تحضّرُ أوراقها للذهابِ إلى بلدٍ آخرَ، ولا تعلمُ ما الذي ينتظرُها هناك.

في ذلك المكانِ، الظلامُ يعمُّ الأرجاءَ، وأصواتُ صرِيخِ رجلٍ تتردّدُ في كلّ زاويةٍ.
كيان غاضبًا: تكلم، ماذا حدث؟ كيف استطاعوا أن يعلموا بالحملة؟ كيف؟
مجهولٌ بصوتٍ يرتجفُ: يا سيّدي، صدّقني لستُ أعلمُ.
كيان: كيف لا تعلمُ وأنت المسؤولُ عن وصولِ الحملةِ إلى الحدودِ؟
وبدأ يضربُه بحنقٍ...

ظل الغرام

وفجأة، صوتٌ رجوليٌّ يهزُّ المكانَ، أشعلَ الإنارةَ ونظرَ إلى كيانٍ بحدّةٍ وقال: اتركه!

كيانٌ ينظرُ إليه والشرارُ يتطايرُ من عينيه.

عليّ: هيّا، لنذهب إلى البيت، سنتكلّمُ هناك.

ملاكٌ وهي شاردةٌ في أفكارها، تنظرُ إلى الطائرة وكأنّها تحفظُ تفاصيلها: اللعنة، يجبُ أن أرحلَ بسرعةٍ وإلاّ ستذهبُ الطائرةُ وأنا أفكّرُ.

بعدَ عدّةِ ساعات، تلتقي ملاكٌ بسيدهارت، الذي يتأملّها بكلِّ حبٍّ.

ملاكٌ: ما بك؟ هل ستُخبرُنِي عن العمليةِ وكيفَ نبدأ، أم ستظلُّ غارقاً هكذا في تفكيرك؟

سيدهارتُ: بالطبع، سأقولُ لك كلَّ شيءٍ.

بالبداية، هذه الهويةُ والجنسيّةُ الكوريّةُ.

ملاكٌ بصدمةٍ: هل جُننت؟ أنا الآنَ لستُ في كوريا ولا جئتُ منها.

سيدهارتُ وهو يضحكُ: أعلمُ، لكنّك مضحكةٌ وأنتِ غاضبةٌ.

ملاكٌ بغضبٍ: وأنتَ مضحكٌ كالْمَهْرَجِ.

سيدهارتُ بانحراجٍ: لنُكملَ إذا، هذه الجنسيّةُ، وهذه الدولةُ، وأيضاً القصرُ جاهز،

سنذهبُ إليه ونتكلّمُ بباقي التّفاصيلِ هناك.

ملاكٌ: هيّا إذا...

تنظرُ ملاكٌ إلى القصرِ بدهشةٍ: هذه بأكمله لي!!؟.

سيدهارتُ: لا، سأسكنُ معك.

ملاكٌ بصدمةٍ: كيفَ؟

سيدهارتُ بضحكةٍ: أمزحُ، أو، أأستطيعُ ذلكَ يا أرنوبة؟

ملاكٌ: لا بأسَ يا قمامة.

سيدهارتُ بنظرةٍ حادّةٍ: تفضّلي، لننتكلّمَ...

ظل الغرام

سيد هارت: هذه التفاصيل في الملف الأسود، لكن الأهم من كل ذلك، عند المساء ستتعرفين على أحد مهم، يحاول أن يعرف عائلة العنكبوت مثلنا.
ملاك: أتقصد كيان؟
سيد هارت: بالطبع، يسمي الظلام.

ملاك: هل هذا الشخص مثلنا في مهمة أم أنه مافيا؟
سيد هارت بنظرة حادة: هذا الإنسان مهم لنا جدًا، إياك أن تُعاديهِ أبدًا أو تعرّضي حياته للخطر.
يُدعى "كيان"، وهو في عالم المافيا منذ خمس سنوات، حياته سوداء مثل ثيابه وبيته وكل شيء يخصه، إنه خطير جدًا، يقتل الرجال ببرودة أعصاب كبيرة.
ملاك: هذا يستحق الموت، لماذا لا أجعل الموت حليفه؟
سيد هارت بغضب: لأن هذه الأوامر بداخله، أنا أعرفه جيدًا لكن هو لا يعرفني.
ملاك: عند المساء سنلتقي ونعلم من هذا كيان.
سيد هارت: ستأتي فتاة تدعى ملك تساعدك وتسكن معك، كأنها صديقتك ولا تعلم شيئًا عن المافيا، هي خبيرة سرّية بشركة "W" لكن لا أحد يعلم حقيقتها، ولا أحد يجب أن يعلم.

عند المساء...

ملاك: هيّا لندخل.

سيد هارت بابتسامة: بالطبع يا ملاك، من هنا ستبدأ مهمتك، حاولي ألا تخافي، اذهبي أمامي، لا يجب أن يعلم أحد أننا جئنا سوياً.
ملاك بتوتر: فهمت.

ظل الغرام

وهي تسيرُ تنظرُ إلى المكانِ، فهذه أهمُّ خطوةٍ لها.

وفجأةً، تصطدم بكيانٍ.

ملاك: أنت، ألا ترى أمامك؟

وعندما نظرتُ إليه كأنَّ الكلماتِ اختفتُ، فجما له سُحرُ فؤادها.

كيانٌ بداخله: رأيتُ الكثيرَ منَ الفتياتِ، لكن بجمالها الخلابِ

لم أرَ سابقًا.

كيان: أعتذرُ يا ملاك.

ملاكُ بخوفٍ: كيفَ علمتَ اسمي؟

كيان: يا للرَّوعةِ، اسمُ علي مسمي.

ملاك بتنهيدةٍ: الحمدُ لله.

كيان: علي ماذا؟

ملاك: ما شأنك أيُّها المغفل؟

وأكملت سيرها إلى الطاولة التي أعجبتهَا، وكيانُ يراقبها

بصمتٍ.

دخلَ سيدهارتُ بكاملِ أناقتهِ، نظرَ لكيانٍ بابتسامةٍ، ولكنَّه شعرَ

بالانزعاجَ عندما انتبهَ أنَّه يُنظرُ إلى ملاكٍ، ثمَّ ذهبَ إليها.

سيدهارتُ: لماذا أتيتِ؟.. سنبدأُ بالخطَّةِ الآنَ، لا تتحدَّثي بشيءٍ.

ملاك: تذكَّرتُ شيئًا، الضَّابطُ أخبرني أنَّ ملكَ ستساعدُني فلماذا

أنت؟

ظل الغرام

سيدهارتُ بابتسامةٍ: لأنَّه لا يجب أن يعلمَ أحدٌ معلوماتي، والآنَ
دعك من هذا، سنبدأ.
ملاكُ بابتسامةٍ مصطنعةٍ: هيّا.
نظرَ سيدهارتُ لكيانٍ بصدمةٍ مُزيّفةٍ.
سيدهارتُ: كيان، أنتَ هنا؟ يا لجمالِ هذه الصُّدفةِ!
كيانُ: أهلاً بك، لم تُعرِّفنا، مَنْ هذه الفتاة؟
ملاكُ مدَّت يدها قائلةً: أنا ملاكُ.
كيانُ: وأنا كيانُ، وتمتمَ بنفسه: كمَ تمنيتُ لو أنَّ يدك لا تفلتَ يديَّ
لآخر العمر.
سيدهارتُ: ملاكُ ستبدأُ بشركةٍ "Y"، لأنَّها أتت من أمريكا منذُ مدّةٍ
قصيرةٍ.
قال كيان ونظره لم يرفَّ عن عينيها: سنلتقي كثيراً إذا.
كلَّ الوقتِ وكيانُ ينظرُ لملاكٍ خلسةً كي لا تنبّه.
في اليومِ الثَّاني، استيقظت ملاكُ على صوتِ فتاةٍ جميلةٍ.
ملاكُ: من أنتِ؟
ملكُ: أنا ملك، انهضي بسرعةٍ، يجبُ أن تخرجي للشركة.
ملاكُ: لكن يجبُ أن نتحدَّثَ أولاً.
ملكُ: سنتحدَّثُ بعدَ الدَّوام، هيّا انهضي.
ملاكُ: كمَ أنك مزعجةٌ.
ملكُ بابتسامةٍ: وأنتِ حمقاء، هيّا معك خمسُ دقائق لتكوني على
مائدةِ الطَّعامِ بالأسفل.

ظل الغرام

عليّ: كيّان، استيقظ!
وعندما نظرَ حوله لم يره.
الخدمة: السيّد ذهب إلى الشركة.
عليّ بتعجّب: ماذا أصابه؟ أنا لا أصدّق أنّه خرج مبكرًا، بالطبع هناك شيء ما.
وأكمل بتأفّف: كم مللتُ منك.

كانت ملاكٌ في شركة "Y"، تدخلُ لتلتقي بالمدير... تنظرُ إلى مكتبه وتقول: مرحبًا..
لكنّها لم تنلقَ أيّ إجابة
قالت بحيرة: ما بك؟ لماذا لم تجب؟ هل أنت مشغول؟ سأعودُ بعدَ قليلٍ.
لكنّها كانت تتكلّم مع الفراغ، ولم يُجبها بأيّ كلمة.
بدأت علاماتُ الغضبِ تظهرُ على وجهها، فاقتربت من مكتبه وقالت: هل يُعقلُ أن مديرَ
شركةٍ ضخمةٍ يجلسُ على الكرسيّ بشكلٍ خاطئٍ ووجهه مُواري عن الموظفين؟!
قام بحركةٍ سريعةٍ أوقع ملاك بين ذراعيه، نظرتُ إليه بحدّةٍ وقالت: هذا أنت؟
كيانُ بابتسامةٍ: متأكّدة أنّك ستعملين معي؟
ملاك: لا، بل سأعملُ مع الشيطان الذي يتلبّسُك.
ردّ عليها وقد تحوّلت ملامحه: كيف تجرّأين على ذلك؟ وصرخَ بحدّةٍ... اجلسي.
ملاك: لا أريد، سأذهبُ.
أمسكَ أناملها وجعلها تجلسُ بغضبٍ، وابتعدَ عنها قائلاً: سنبدأ يا صغيرة.
نظرتُ له بكراهيةٍ: هيّا إذا.
وبعدَ مناقشاتٍ...

كيان لملاك: سأراك كثيرًا هنا، أتمنّى أن تكوني مهمّةً بعملك.
قاطعتُه وغمزت بعينيها قائلةً: وسنلتقي بعملِ المافيا أيضًا.

ظل الغرام

خرجت ملاكٌ، وبدأ كيَانُ يفكّرُ بما قالت، هل يُعقلُ أنّها ما فيا؟ أم أنّها مجردُ كلماتٍ لا معنى لها؟

غادرت ملاكُ الشَّرْكةِ، والتقت بملكٍ وهُنا بدأتِ الخطّةُ الأساسيّةُ.
ملكٌ: الآنَ ستتعرفينَ على شخصٍ يُدعى العنكبوت، إنسانٌ مخيفٌ جدًّا، لا تجادلِيه، وحاولِي أن تجعلِيه يثقُ بكِ، فهو الَّذي سيجعلُنَا نصلُ إلى راغافَ وعائلةِ العنكبوتِ، وهُنا سينتهي عملُنَا الَّذي كنّا نحاولُ أن ننهيَهُ أنا وسيدهارتُ منذُ خمسِ سنواتٍ، وأيضًا سيدهارتُ يعلمُ أشياءً لا أعلمُها، لأنّه لا يتكلّمُ بشيءٍ قبلَ أوَانِه.
ملاكٌ: حسنًا فهمتُ، كيفَ سألتقي بالعنكبوت؟

ملكٌ: بمقهى "ليلِ الشّامِ" أنا لا أستطيعُ أن أذهبَ معكِ، ستذهبينَ وحدكِ، وذلكَ عندَ السّاعةِ الثّامنةِ مساءً، لكنّ سيدهارت سيرسلُ خلفكِ بعضَ الرّجالِ حفاظًا على سلامتكِ دونَ أن يعلمَ أحد.

ملاكٌ بتوتّرٍ: إذا سأذهبُ إلى المنزلِ، أراكِ هناكَ عندَ المساءِ.
ملكٌ: يوجدُ بالملفِّ الأسودِ معلوماتٌ عنِ العنكبوتِ في الصّفحةِ العاشرةِ، الآنَ وصلتِ السّيّارةُ.

ملاكٌ بابتسامةٍ: أراكِ لاحقًا.
ذهبتُ إلى المنزلِ، وعندَ المساءِ كانت ملكٌ تختارُ لها فساتينَ أنيقةً لتلفتَ انتباهَ العنكبوتِ، فهذهِ أوّلُ خطوةٍ.
ملاكٌ: سأرتدي هذا.

وقبلَ أن تعطيَ ملكَ رأيها، ظهرتِ الخادمةُ وقالت:

سيّدتي ملك، السيّد سيدهارت أتى.

ملكٌ: قادمة.

ظلّ الغرام

سيدهارت: ستلتقي اليوم ملاكًا بالعنكبوت، يجب أن تُشغلي هذه السَّمَاعَةَ وأيضًا الموقعَ، ونحنُ سنراقبُ مَنْ بعيدٍ دونَ أنْ تعلمَ ملاكُ، خشيةً أنْ تفعلَ شيئًا يكشفنا. ملك: فهمتُ.

وهنا نزلت ملاكٌ وذهلت سيدهارت وملكٌ بجمالها.

سيدهارت: قلتُ لك أن تكوني جميلةً، لكن ليس لهذه الدرجة.

ابتسمت ملاكٌ قائلةً: سنخرجُ؟

ملكٌ: ضعي السَّمَاعَةَ في أذنيك ولا تجعلِي أحدًا ينتبه إليها، وأيضًا هذا على ثيابك، فنحنُ لا ندري ما قد يحدثُ.

توترت ملاكٌ وفعلت ما قالتُهُ ملكٌ، خرجتُ بالسيَّارة وملكٌ وسيدهارت خلفها حفاظًا على سلامتها.

ملكٌ: كانَ يجبُ علينا أن نعطيها سلاحًا.

سيدهارت: لا تحتاجُ، ملاكٌ معروفةٌ بقوّتها في القتال، فهي فتاةٌ لا تهابُ شيئًا.

وصلت ملاكٌ وخرجتُ بكلِّ أناقةٍ، وعيناها تبحثانِ عن العنكبوت.

كيانٌ: ماذا تفعلينَ هنا؟

ملاكٌ: أنا!!

كيانٌ: أينما ذهبتِ سأراكِ.

التفتت ملاكٌ، ونظرت إلى بدلته السوداء، وكيانٌ ينظرُ إلى عينيها وشعرها، وكأنَّه يتمنَّى أن يُخفيها عن هذا العالم.

كيانٌ بداخله: أعشقُ اللونَ الأسودَ مثلَ شعركِ وعينيكِ تمامًا.

ملاكٌ تركته هائمًا بها، وابتسمت عندما رأتِ العنكبوت، وهمستُ بنفسها: أعدكُ أنْ

أدمركُ أيُّها القديرُ أنتَ وكلُّ مَنْ معك.

ثم تقصّدت أن تجلسَ بالقربِ من طاولته، فنظرَ إليها قائلاً: يا لهذا الجمالِ!..

ظلّ الغرام

هل استطيعُ ان اجلسَ معكِ؟
ملاكُ بكلِّ فرحٍ: بالطبع، تفضَّل.
مدَّ يدهُ قائلاً: أنا كافرٌ وأدعي بالعنكبوتِ.
ملاكُ بقرفٍ مدَّت يدها وردّت السَّلامَ.
العنكبوتُ: ما عملك؟
ملاكُ: اقتربت منهُ قائلةً: استخباراتيَّةُ.
بدأتُ ملامحُ الخوفِ على وجهِ العنكبوتِ، فضحكت بشدَّةٍ وقالت: أمزحُ معكِ.
اقتربتُ من جديدٍ وهمستُ في أذنه: أنا أعملُ بشركةِ "Y"، وغمزتهُ، وأيضاً أنا من العالمِ
الأسودِ.
ظهرتُ ملامحُ السَّعادةِ على وجهه قائلاً: لكن هذه أوَّلُ مرَّةٍ أراكِ هنا.
ملاكُ: كنتُ بمهمَّةٍ في أمريكا والآنَ عدتُ إلى هنا.
غمزها العنكبوتُ قائلاً: سنعملُ سوياً إذاً.
كيانُ بغضبٍ: ما الذي تفعلهُ هذه؟! هل فقدتِ عقلها؟ تضحكُ معه ولا تعلمُ كمِّيَّةَ
الخطرِ.
كيانُ أكبرُ أعداءُ العنكبوتِ؛ لأنَّه دائماً يجعله يُفشلُ في الحملاتِ.
ذهبَ كيانُ متَّجهاً إلى طاولتهم.
العنكبوتُ: يا لجمالِ هذهِ الأمسيةِ، شريكي هنا!
كيانُ: ملاكُ، هبَّا تعالي معي.
ملاكُ: ما شأنك أنت؟
أمسك معصمها بقوةٍ وقال: قلتُ لك أريدُ التَّحدُّثَ معكِ الآنَ.
لم يشعر كيانُ إلاً بلكمةٍ على خدِّه من العنكبوتِ، وبدأ القتالُ بينهما.
سيدهارتُ: ملاكُ، تسمعينني؟
ملاكُ: نعم، الوضعُ خرجَ عن السَّيطرةِ.

ظل الغرام

سيد هارت: هذا لصالحنا، اخرجني مع كيان، فهذه الحركة ستجعل العنكبوت يلحقك لأنه يكره كيان كثيرًا.

بعد المشاجرة والقتال بينهما، أتى عليّ وبعض الرجال وأبعدوهما عن بعضهما، ثم أمسك كيان بأنامل ملاك دون أن يتكلم بشيء، فذهبت معه. ركبا في السيارة فسألته: إلى أين؟.. لكنه لم يجب.

وعندما وصلوا للمكان المنشود، ركن السيارة ثم فتح الباب بجانب ملاك وقال: الحقني بي.

تنظر حولها متعجبة من جمال القصر الذي يشبه قصر الحكايات، دخلت ورأت البيت كله باللون الأسود.

جلست ملاك بالقرب من كيان، وشعور الذنب يأكل قلبها الذي مازال نقيًا، تضع أناملها على الجروح بحذر.

ملاك: أين حقيبة الإسعافات الأولية؟
كيان: هناك.

أحضرتها وبدأت تعقم جروحه، شعرت بإحساس غريب وهي قريبة منه، وهو فقط ينظر إليها بصمت كبير.

ملاك بهدوء: لماذا أتيت إلينا؟

كيان بغضب: لا أعلم، لكن لا أريد أن تكوني بالقرب منه، فهو خطير.

ملاك بابتسامة: وأنت أيضًا مافيا، كيف أجلس معك الآن؟

نظر كيان بعينيها قائلاً: أنا لن أكون خطرًا عليك، وأعدك بهذا.

ابتسمت ملاك وقالت: لكنني من العالم الأسود مثلك.

كيان: أعلم.

ملاك بصدمة: كيف تعلم هذا؟

كيان: رأيت ملف أعمالك.

ظلّ الغرام

سيدهارت لملاك عبر السَّمَاعة: أنا من جعلته يرى معلومات الملف الأزرق، لا

تكشفينا بصدمتك.

ملاك بغضب: يا لك من مغفل.

نظر كيان إلى جانبه وقال: لا يوجد أحد هنا، لمن تقولين مغفل؟ لي؟

ملاك بإحراج: هل تعيش لوحدك؟

كيان: نعم.

ملاك: أين عائلتك؟

كيان: هذا لا يعنيك.

ملاك: حسناً أنا سأذهب.

كيان: إلى أين؟

ملاك: إلى المنزل.

نظر لها كيان قائلاً: الوقت تأخر، نامي في الغرفة هذه وأنا سأنام في غرفتي، وأغلق

الباب جيّداً.

ملاك: لماذا أغلقه؟

كيان بسخرية: يوجد أشباح هنا، سأخرج إلى الحديقة وأنت اذهبي إلى غرفتي.

ملاك: غرفتك؟

كيان: من أجل الملابس، وأنا سأخرج إلى الحديقة.

نظرت ملاك بابتسامة وراحت تبحث عن غرفته، رفعت الهاتف واتصلت مع ملك.

ملاك: كيف الحال؟ أنا الآن ببيت كيان، سأحاول أن أجمع بعض المعلومات منه.

أراكم غداً.

ملك بصياح: ماذا؟ لوحدك مع كيان! هذا لا..

وأغلقت ملاك الهاتف في وجهها قبل أن تكمل كلامها،

وقالت بتذمر: وكأني طفلة صغيرة!

دخلت ملاك إلى غرفة كيان السوداء، ارتدت ملابس نومه وخرجت إليه،

فقالت: رائحة عطرك جميلة

ظل الغرام

نظر إليها كيانُ وبدأ بالضحك، ولأول مرةٍ تراه ملاكٌ يضحكُ.

ملاكٌ وقد وضعت يداها على وسطها: ما بك؟

كيانٌ وهو لا زال يضحكُ: لا شيء.

نظرتُ إليه بغضبٍ ومشت، ركضَ كيانٌ وضمَّها: اعتذري يا صغيرة.

ضربته بخفةٍ على صدره وابتعدتُ عنه قائلة: لا يُسمحُ لك بلمسي، ولا تقل لي

صغيرة!

كيان وهو يحكُّ رأسه: ولكنك قصيرةٌ وصغيرة!

ملاكٌ بغضب: أنت الطويل أكثر من اللازم!

كيانٌ: هيّا تعالي لتكلم في موضوع العمل.

ذهبَ كيانٌ وعادَ بعدَ دقائق وبيده ملفٌ أسود.

نظرَ كيانٌ إليها بغيظٍ عندما رآها مستلقيةً في غيرِ مبالاة، فقال: ما رأيك أن نتكلم؟

ملاكٌ: لا، أريدُ النوم.

أغلقَ كيانُ الملفَّ الأسودَ بتدبُّرٍ، وذهبَ إلى غرفته كي ينام.

نظرتُ ملاكٌ له بانزعاجٍ وجلستُ على كرسيٍّ خشبيٍّ في حديقة المنزل، وبدأتُ تفكّرُ

بالأحداث، إلى أن نامت، وكانَ كيانٌ يراقبُ حركاتها من النافذة، وما إن رآها نائمةً نزلَ

وأخذها إلى الغرفة وهو يتأملُ تفاصيل وجهها التي أسرته.

كيانٌ: لا يُعقل! كلُّ هذا الجمال في فتاةٍ واحدة، وليسَ جمالاً فقط، وعقلاً حكيماً

أيضاً، يا صغيرتي، لم يكن يجبُ عليك أن تدخلِي إلى هذا العالم، فأنتِ لا تعلمين ماذا

يوجدُ هناك.

قبَّلها على خدِّها وذهبَ إلى غرفته.

عندَ الصَّباحِ استيقظتُ ملاكٌ، رأتُ نفسها نائمةً في الغرفة، وبينما هي شاردةٌ في

التفكير، قاطعَ تفكيرها اتصالٌ من سيدهارت.

سيدهارتُ: كيفَ حالك؟ هل أنتِ بخير؟

ملاكٌ: نعم.

ظل الغرام

قاطعها سيدهارت عندما قال: يوجد غرفة سوداء في الطابق الثاني، عليك أن تبحثي بها، يوجد ملف باللون الأخضر، عليك أن تحضره بسرعة وأنا سأتوكلُ بأمر كيان، ثم أغلق الخط دون أن يعطيها فرصة حتى تتكلم بشيء.

خرجت ملاك باحثة عن هذه الغرفة وأخذت معها السلاح الذي وجدته في الغرفة، وعندما رأتها دخلت بهدوء، لا يوجد لا ملف ولا مكتبة لكن، لفت انتباهها قطعة من الطراز القديم، نظرت إليها بتمعن وعندما لمستها تحرك الجدار، وبسرعة البرق أخرجت سلاحها، فكان خلف الجدار سلم طويل، نزلت بهدوء وقامت بتشغيل إنارة الهاتف، وفجأة صرخت من شدة الدهشة عندما رأت أسلحة من جميع الأنواع وأفخمها، ولم يكن هذا فحسب، بل ووجدت صندوقاً وخلفه ممر طويل، وكانت الصدمة عندما فتحت الصندوق ورأت الممنوعات والملف الأخضر، هنا شعرت بالنصر، لكن سرعان ما تبدلت ملامحها إلى خوف عندما سمعت صوت كيان.

كيان ببرود: ماذا تفعلين هنا؟

ملاك: أنا... أنا...

كيان مُقطباً حاجبيه: أنت ماذا؟؟ تكلمي.

سحب يديها بقوة وخرجت، وعندما وصلا إلى باب الغرفة نظرت إليها بغضب وأغلق الباب وهو يجرها خلفه.

ملاك: اترك يدي، إنك تؤلمني!

كيان ترك يديها الناعمتين ونظر بعينيهما بتحد كبير.

ملاك: ماذا؟ ما بك؟

شعرت ملاك أنه سيقتلها، ولكنها انصدمت عندما قال لها: هيّا لنأكل، فأنا جائع.

ملاك: نأكل؟! لماذا؟ ألن تقتلني؟

كيان: هل تريد أن أقتلك؟

ملاك: لا، لا، لا أريد ذلك.

كيان: اجلسي هنا.... وأنت ميهنتا تعالي إلى هنا.

ظلّ الغرام

الخادمةُ ميهتا: نعم سيّدي؟
كيانُ: أريدُ فطورًا في الحديقةِ.
الخادمةُ: حاضر سيّدي.
رنَّ هاتفُ كيانِ.
كيانُ: نعم، حسنًا... ثوانٍ وسأكونُ هناك.
ملاكُ: ماذا هناك؟ سأتي معك.
كيانُ: لا تأتي ولا تخرجي من المنزلِ.
ملاكُ: لماذا؟ هل يوجدُ شيءٌ؟
كيانُ: سأعودُ قريبًا، لا تتحرّكي من المنزلِ.
ملاكُ: لكنني أريدُ أن أذهبَ إلى منزلي.
كيانُ: قلتُ لكِ ألاّ تذهبي إلى أيّ مكانٍ، سأعودُ قريبًا.
نظرتُ ملاكُ له بانزعاجٍ، وفجأةً تحوّلتُ علاماتُ وجهها إلى سعادةٍ.
ملاكُ: هذهِ الفرصةُ لن تأتي مرّتينِ.
صعدتُ ملاكُ إلى الغرفةِ ودخلتُ إلى المكانِ الذي حذّرها كيانُ منه،
وركضتُ إلى الصُّندوقِ.
وقالتُ بنفسها: توقَّعتُ أنّك عبقرِيٌّ وأنّك ستغيّرُ مكانَ الصُّندوقِ، لكن لا
بأسَ سأكتشفُ الآنَ الحقائقَ.
فتحتُ الصُّندوقَ فأتاها اتصالٌ.
ملاكُ: اللّعةُ! ما الأمرُ؟!

ظل الغرام

بعد مدّة من الزّمن...
كيانُ: ملاكُ، ماذا تفعلين هُنا؟
نظرت ملاكُ بتوتُّرٍ.
كيانُ: أأعجبتكِ غرفتي؟
ملاكُ: ها؟ كثيرًا، اللونُ الأسودُ يسرقُ الفؤادَ دومًا.
نظرَ لها بابتسامةٍ.
فقالت: انتظرتكِ إلى الآن، يجبُ أن أعودَ إلى المنزلِ، ملكُ تنتظرنِي هناك.
كيانُ: هيّا سنخرجُ سوياً، لكن هل أكلتِ؟
ملاكُ: نعم أكلتُ، سأنتظركِ بالخارج.
كيانُ: ملاكُ، سنذهبُ هل نسيتِ شيئاً؟
ملاكُ: لا، هل يمكنني أن أقودَ السيّارة؟
كيانُ: لماذا؟
ملاكُ: أحببتُ أن أقودها.
كيانُ: موافقٌ.
كيانُ ينظرُ إلى ملاكٍ شاردًا في بحورِ عينيها، وملاكُ تفكّرُ بما رأت.
ملاكُ: أنا وصلتُ، هل تريدُ شيئاً؟
كيانُ نظرَ في عينيها قائلاً: لا تجعلي عيناكِ حزينَةً هكذا.
أغمضتُ عينيها وهي تفكّرُ وكأنَّ حزنَ العالمِ داخلهما.
اقتربَ كيانُ منها وقبّلها على عينيها، فنظرت إليه بتعجُّبٍ ودخلت إلى
المنزلِ بسرعةٍ.

ظلّ الغرام

ملكٌ وسيدهارتُ سوياً: ماذا حدث؟
جلستُ ملاكٌ ولم تجب.
نظروا إليها بتعجبٍ!
ملكٌ: ماذا حدث؟ قولي!
ملاكٌ: عندما خرج كيانُ من المنزل، بحثتُ مجدداً عن
الملفّ الأزرقِ مثلما قلتَ لي.
سيدهارتُ: ماذا وجدتِ؟
ملاكٌ: رأيتُ الممنوعاتِ وأيضاً... الملفّ الأخضر.
سيدهارتُ وملكٌ بفرح: هذا رائعٌ جداً!
ملاكٌ: ولكن...
ملكٌ: ولكن ماذا؟
ملاكٌ: عندما فتحتُ الملفّ الأخضر، وجدتُ أشياءً غريبةً، رأيتُ صوراً
ومخططاتٍ لكن لم أفهم شيئاً أبداً وكأنّ في داخلها لغزاً ما.
سيدهارتُ: أين الملفّ؟
ملاكٌ: إنّهُ في مكانه.
سيدهارتُ: اللعنة، اللعنة! كلُّ شيءٍ ضاعَ دونَ فائدةٍ، كيف تفعلينَ هذا؟!
ملاكٌ: لا، لم يضع شيءٌ.
سيدهارتُ: كيف؟
ملاكٌ: كلُّ شيءٍ داخلَ الهاتفِ.
فرحتُ ملكٌ ومن شدّةِ الفرحِ غمرتُ سيدهارتُ،
وسيدهارتُ قابلها العناقَ بلطفٍ.

ظل الغرام

ملاكٌ ضاحكٌ: أتعلمان؟ أنتما ثنائِيٌّ جميلٌ.
قالَ سيد هارتُ وقد ابتعد عن ملكٍ متداركًا: ملكٌ صديقتي فقط.
بينما ملكٌ نظرتُ بابتسامةٍ وبداخلها حزنٌ كبيرٌ لكلامه.
هناكَ أشخاصٌ نعشقهم لكن لا يُدركون حقيقةَ مشاعرنا، ونحنُ نتألمُ،
كالشخص الذي يحاولون قتلهُ
وهو يصرخُ للنَّجدةِ ولكن لا يوجدُ سواه لسمعه.
بدأ بالنَّظرِ إلى الصُّورِ.
ملاكٌ: سأخرجُ لطباعتها وأعودُ لاحقًا.

عليّ: لماذا جعلتَ ملكٍ ترى الملفّ؟
كيانٌ: ملكٌ فتاةٌ مذهلةٌ وشغوفةٌ، وشغفها هذا سيساعدنا كثيرًا.
عليّ: لكن أظنُّ هذا الشَّيء سيؤثّرُ على عملنا.
كيانٌ: لا، لن يؤثّر، سأبقى أراقبُ كلَّ تحرُّكاتِها.
عليّ: لم أفهم لماذا فعلتَ هكذا؟
كيانٌ وبيده الملفُّ ينظرُ إليه: ملكٌ تبحثُ وتريدُ ذلك، وأنا لا أريدُ أن يصيبها
أيُّ أذى.

عليّ: كأنك وقعتَ في حبِّها؟
ذهبَ كيانٌ بمخيّلته إلى عينيها، وشعرها الطَّويل، وشخصيّتها القويّة التي
تجعلُ مَنْ يراها يحترمها لو كان الدَّ أعدائها.
عليّ: بماذا تفكّرُ؟

كيانٌ: انظرُ هنا.. إلى هذه الصُّورة.

ظلّ الغرام

عليّ: إنّه مقرّر بمنتصف المدينة، لكن لم أفهم ما هذا؟ ولماذا هو موجودٌ داخل الملفّ؟

كيان: متأكّد، اليوم ستكون هناك ملاكٌ وربّما من يساعدها، لذلك يجبُ أن نكون هناك ونعلم من هو رجلُ المافيا الذي تعملُ لأجله، هذا الشّيء مهمٌ جدًّا لنا. عليّ: إذا يجبُ أن أنام جيّدًا، لأنّ اللّيل يحضّر لنا الكثير من المفاجآت. نظرَ كيانٌ له بابتسامةٍ، وأخرج السّلاح من خصره ينظرُ إليه بتمعّنٍ، وكأنّه يستعدُّ إلى هجومٍ كبيرٍ على أعدائه.

بينما ملاكٌ كانت تنظرُ إلى الأوراقِ، ولفتَ انتباهها مقرّرٌ، نظرت إلى سيدهارت متسائلةً:

أين يقعُ هذا المقرّر؟

سيدهارت: في وسطِ المدينة.

ملكٌ: أشعرُ أنّنا سنصلُ إلى كلّ شيءٍ من خلاله.

ملاكٌ: وأنا أتوقّع ذلك.

ملكٌ: وما هذا المخطّطُ؟

سيدهارت: لا أعلمُ لكن سأحتفظُ به لأبحثَ عن الأمرِ!

ملاكٌ: يجبُ ذلك.

ملكٌ: سنذهبُ إلى المقرّر.

سيدهارت: أنتِ لن تذهبي.

ملكٌ: كلّ هذه المُدّة وأنا أعملُ من بعيدٍ، أمّا الآنَ سأنزلُ إلى السّاحة.

ملاكٌ: لكن يا ملكُ، سيعلمونُ أنّك مافيا.

ملكٌ: لا يهمّ، سأذهبُ.

ظلّ الغرام

وبعد مُدَّةٍ مِنَ الزَّمنِ...

وقفتُ فتاةً أمامَ المرآةِ تتأملُ انعكاسَ صورتِها بثقةٍ واضحةٍ، بينما كانت أصابعُها الرَّشيقةُ تمرُّ برفقٍ فوقَ علبةِ مساحيقِ التَّجميلِ، وضعتْ لمساتِها الأخيرةَ ثمَّ رفعتْ أحمرَ الشَّفاهِ القاني، تمرُّهُ ببطءٍ على شفتيها كأنَّها ترسمُ لوحةً فنيَّةً، لم تكن وحدها، كانَ هناكُ منْ يراقبُها بصمتٍ واهتمامٍ، عيناهُ تتفحَّصانِ تفاصيلَها بدقَّةٍ. التفتتُ إليه أخيراً، تتمايلُ بخطواتٍ واثقةٍ، وانتشرتْ رائحةُ عطرِها الفاخرِ في أرجاءِ الغرفةِ، كانت ترتدي فستاناً أحمرَ طويلاً ينسابُ حتَّى الأرضِ، يتخلَّلهُ شقٌّ يبدأ من ركبتيها ويمتدُّ نزولاً، كاشفاً عن أنوثَةٍ جريئةٍ.

ابتسمَ الرَّجلُ بخبثٍ وهو يتأملُها.

العنكبوتُ: ما كلُّ هذا الجمالِ يا زهرةُ؟!

قالها وهو يغمزُ بعينه ونظراته لا تخلو من المكرِ.

اقتربت منه زهرةٌ ببطءٍ، ثمَّ رفعتْ أناملها ومرَّرتها برفقٍ على وجنته وقالت: هيّا بنا.. لقد تأخرنا.

ابتسمَ بخضوعٍ مصطنعٍ وقال: كما تأمرين يا زهرتي.

تقدَّمتْ أمامه بخطواتٍ متبخرةٍ، بينما كانت أصواتُ كعبِ حذاءِها الحادةُ تتردَّدُ في الممرِّ كأنَّها إعلانٌ لوصولِها.

في صالةِ القصرِ، كانت ملاكٌ وملكٌ تجلسانِ متقاربتين، تتبادلانِ الحديثَ بصوتٍ خافتٍ.

ومن بعيدٍ، كيانهُ يراقبُهما بصمتٍ.

عيناهُ كانتا مليئتتين بشيءٍ يصعبُ تفسيرهُ، شيءٌ يجمعُ بين الإعجابِ، والقلقِ، والصِّراعِ الدَّاخليِّ.

ظل الغرام

لاحظ علي نظراته الطويلة، فاقترَب منه هامساً: كيان... ما بك؟ لماذا تنظرُ
إلى صديقة سيدهارت هكذا؟
لم يحوّل كيان نظره عنها، بل قال بهدوءٍ: ليست صديقتي، اسمها ملاك.
وفي تلك اللحظة، فتحت أبواب القاعة.
دخل العنكبوت برفقة زهرة.
تنهّد علي بخفوتٍ.
علي: انظر من أتي.
رفع كيان عينيه نحو الداخل، وما إن وقع بصره عليهما حتى ارتسمت علي
وجهه ملامح اشمزاز واضحة، كأنه رأى شيئاً مقررّاً.
اقتربت زهرة منه مباشرة، تتمايل بخطوات متعمّدة، وحركاتها تشبه حركات
نساء الليل... بل كانت أكثر ابتذالاً.
أطلقت ضحكة خفيفة وقالت بنبرة ساخرة: كيف حالك يا ظلامي؟
نظر إليها كيان بنظرة باردة مليئة بالنفور، ثم استدار ومضى مبتعداً دون أن
يجيبها.
انحنى زهرة قليلاً وهمست بصوت خافت، بالكاد يُسمع: سأجعلك يوماً ما
تركع عند قدمي، عندها فقط سأسمح لنفسي بالنظر إليك.
في الجهة الأخرى من القاعة، اتّجه كيان نحو ملاك.
تبادلا حديثاً قصيراً، لكنّ العيون التي كانت تراقبهما من بعيد كانت أكثر من
الكلمات.
وهكذا مرّت تلك الليلة، ليلة امتلأت بالكراهية والنظرات المتوتّرة، وأسرارٍ
بدأت تتشابك في الظلام.

وعند الصّباح، فتحت مَلَاكُ عينيها لتجدَ رسالةً على هاتفِها: كيفَ حالُك؟
أَتَمَنَّى أَنْ أراكِ اليَوْمَ في منزلي لنأكلَ الفطورَ معًا.
شردت مَلَاكُ قليلًا، ثمَّ رَدَّتْ ببطءٍ: أنا بخيرٍ، لا أَسْتَطِيعُ الحضورَ الآنَ، لعلَّنا
نَجْتَمِعُ في وقتٍ آخرَ.
نظرَ كيَانُ إلى رسالَتِها، وعيناهُ تتوهَّجانِ بغضبٍ، كأنَّ اللَّونَ الأخضرَ قد
اختفى وحلَّ محلُّهُما الأحمرُ القاني.
قالَ بصوتٍ منخفضٍ لكنَّه حادٌّ: إذا... عندَ المساءِ.
نظرتُ إليه مَلَاكُ ولم تَرَدِّ، بينما كانَ كيَانُ يَتَفَحَّصُ هاتفَهُ بلا هِوَادَةٍ، كلُّ
دقيقةٍ كأنَّها دهرٌ.
ارتدتُ مَلَاكُ ملبسَها الأنيقةَ باللَّونينِ الأسودِ والأبيضِ، ووضعتُ مكيابِجًا
رقيقًا يبرزُ ملامحَها، وتركتُ شعرَها ينسابُ على خصرِها برقَّةٍ، أخذتُ
ملفًا مهمًّا وركبتُ سيارَتَها وذهبتُ، وكأنَّ عقلَها منشغلٌ بفكرةٍ واحدةٍ تحرَّكُ
خطواتُها المُسرَّعةَ.
وقفتُ أمامَ منزلِ ثِوانٍ معدوداتٍ، ثمَّ تقدَّمتُ بخطواتٍ سريعةٍ، كأنَّها على
وشكِ الانطلاقِ في سباقٍ، وعندما دَقَّتِ البابَ أخيرًا، فُتِحَ لها باستغرابٍ.
قالَ سيد هارتُ وهو يحاولُ الاستيقاظَ من دَهْشَتِهِ: ما بكِ منذُ الصّباحِ؟!

ظل الغرام

دخلت مَلَاكُ بغضبٍ كامنٍ في صوتيها: بحقّ الجحيم؟! أنتَ تستحقُّ
الضَّرْبَ!
نظرَ إليها مذهولاً، ثمَّ تابعتْ حديثها بنبرةٍ حازمةٍ: نحنُ هنا بمهمّةٍ، وليسَ
للتَّسْلِيَةِ أيُّها الوغد!
تنفَّسَ سيدهارتُ ببطءٍ، محاولاً استيعابَ الأمرِ، ثمَّ قالَ بتأفُّفٍ: ما بكِ
الآنَ؟
أجابتهُ مَلَاكُ بحدّةٍ: هناكُ أمرٌ خطيرٌ علِمْتُهُ...
- ماذا هناك؟! -

قالتُ: أحضِرْ لي كوباً من القهوةِ وسأخبرُك بكلِّ شيءٍ.
بدأ سيدهارت بتحضيرِ القهوةِ وهو يتمتُّ بكلماتٍ متفرِّقةٍ، محاولاً
التَّكْيِيفَ مع المزاجيّةِ التي تحملها مَلَاكُ في كلّ حركةٍ ونظرةٍ.
أخذتُ مَلَاكُ القهوةَ وجلسا في الصَّالةِ، والهواءُ مشحونٌ بثقلٍ ما كشفتهُ
الأحداثُ الأخيرةُ.
ضوءُ الصَّباحِ الخافتُ يتسلَّلُ عبرَ السَّتائرِ لِيُسلِّطَ خطوطهُ الذَّهبيَّةَ على
الطاوِلَةِ بينهما.
قالتُ مَلَاكُ بنبرةٍ هادئةٍ وحازمةٍ: أتذكُرُ المقرَّ الَّذي في منتصفِ المدينةِ؟
ارتجفَ سيدهارتُ قليلاً وهو يحملُ فنجانَ القهوةِ: نعم... ما بهِ؟
ابتسمتُ مَلَاكُ ابتسامةً خفيفةً، لكنَّ عينيها لم تفارقا نظرهَ: ذهبتُ إليهِ
البارحةَ.

قفزَ سيدهارتُ من مكانِهِ، كأنَّ الكهرباءَ صعقتُهُ، وصاحَ بصوتٍ مرتفعٍ:
متى ذهبتِ؟ كيفَ؟ هذا الصَّباحُ كنتِ بجانبِي، وعندَ المساءِ في الصَّالةِ!

ظل الغرام

أجابَتْ مَلَاكُ بهدوءٍ يُخفي صرامةَ الحديدِ: بعدَ الصَّالةِ.
تراجعَ بخطوةٍ، عيناها تتَّسَعانِ بدهشةٍ: تمزحين... ألسِتِ كذلك؟
هزَّتْ رأسَها بعزمٍ لا يقبل النِّقاشَ: لا، لا أمزح، سأخبرُكَ بكلِّ شيءٍ.
جلسَ سيدهارتُ على طرفِ المقعدِ، محاولاً ضبطَ أنفاسِهِ ونبضاتِ قلبِهِ
المتسارعةِ، وأبقى عينيهِ مركَّزتينِ عليها.
بدأتْ مَلَاكُ بسردِ الأحداثِ بصوتٍ متَّزنٍ، وكأنَّ كلَّ كلمةٍ محسوبةٌ بدقَّةٍ:
بعدَ خروجِنا مِنَ الصَّالةِ وتوجُّهِنا إلى منزلِنا، دخلتُ غرَفتي بسرعةٍ، غيَّرتُ
ملابسي، أخذتُ سلاحِي، ثمَّ اتَّجَهْتُ نحوَ المقرِّ ودخلتُهُ.
ارتجَفَ سيدهارتُ وقالَ بصوتٍ مشحونٍ بالدهشةِ والغضبِ: دخلتِهِ؟
وكيفَ ذلكَ، وهوَ محاطٌ بالحِراسةِ المشدَّدةِ؟
قاطعتُهُ مَلَاكُ بنبرةٍ صارمةٍ: لا تُقاطِعني، دعني أكملُ.
هزَّتْ رأسَهُ، كادَ انفجارُ الغضبِ أنْ يخرجَ من صدرِهِ، بينما كانتْ مَلَاكُ تُكملُ
سردَها: عندما وصلتُ، كانَ الرِّجالُ واقفينَ أمامَ المقرِّ، تسلَّلتُ دونَ أنْ
يلاحظَ أحدٌ وجودِي، وعندما دخلتُ، وجدتُ ممرَّاتٍ واسعةً ومعقَّدةً،
لا تعرفُ من أينَ تبدأ، هناكَ رأيتُ بعضَ الحِراسِ، لكنَّ واحداً فقط كانَ
منفرداً، فاختَبأتُ قليلاً، وعندما غادرَ تقدَّمتُ بسرعةٍ، وحينها... رأيتُ
الصَّدمةَ.

ارتعشَ سيدهارتُ: ماذا كانَ هناكَ؟

أجابَتْ مَلَاكُ ببرودٍ مصحوبٍ برعشةٍ خفيفةٍ: كانتُ هناكَ صورٌ
لشخصيَّاتٍ، من بينهمُ الكافرُ وصديقَتُهُ، لكنَّ ذلكَ لم يُدهشني، ما
أصابني بالصَّدمةِ هوَ صورةُ كيان... كانَ على رأسِهِ آثارُ طَلقاتٍ متتاليةٍ.
صُدِمَ سيدهارتُ: هل أنتِ متأكَّدة؟

ظلّ الغرام

أجابته ملاكٌ بثباتٍ، وهي تضعُ الكوبَ على الطاولة: نعم، صوّرتُ كلَّ شيءٍ ونسختهُ ووضعتُهُ في الملفِّ، لكنني وجدتُ أحرفاً متقطّعةً ولم أعلم لأيِّ شيءٍ تنتمي، وبعدها لم أستطع الوصولَ إلى الجانبِ الآخرِ. سألَ سيدهارتُ: أينَ الأحرفُ المتقطّعةُ؟

أجابته ملاكٌ: في الملفِّ.

جلسا صمتًا للحظةٍ وكأنَّ الوقتَ قد تجمّدَ، قبلَ أن يقولَ سيدهارتُ بصوتٍ مُنخفضٍ: هناكُ أحرفٌ مفقودةٌ... علينا أن نجلبها. أو ماتَ ملاكٌ بعينينِ حادّتين: سنُجزِ ذلكَ اليومَ عندَ المساءِ. قالَ سيدهارتُ وهو يحاولُ أن يخفّفَ التوتّرَ: نعم، الآنَ لنخرجَ إلى حديقةِ المنزلِ ونتناولَ الطَّعامَ.

ردّت ملاكٌ بابتسامةٍ خفيفةٍ تلمعُ في عينيها: سأُساعدُك. قالَ مازحًا وهو يلتقطُ كوبه: لا داعٍ... أنتِ أميرتي الآنَ. نظرتُ إليه ملاكٌ ثمّ تقدّمتُ بخطواتٍ رشيقةٍ نحوَ المطبخِ بصمتٍ كاملٍ، تاركةً خلفها إحساسًا بالجنونِ، فأردفَ سيدهارتُ لنفسه، وهو يتابعها بعينينِ مليئتينِ بالدهشة: ستجعليني أصابُ بالجنونِ بالتأكيد. وعندَ انتهائهما من إعدادِ الطَّعامِ، جلسا يتناولانِ وجبتهُما بهدوءٍ ظاهريٍّ، غيرَ مدركينَ أنَ عيونًا تُراقبُهُما من بعيدٍ، مشتعلةً بغضبٍ خفيٍّ.

مرَّ بعضُ الوقتِ، ثمّ نهضتُ ملاكٌ، فودَّعها سيدهارتُ وغادرتِ المنزلَ، وما إنْ خطتُ خارجَ البابِ حتّى شعرتُ فجأةً بيدٍ قويّةٍ تسحبها من خصرها. التفتتُ بحدّةٍ لكن نظرتها تجمّدتُ للحظةٍ...

ظل الغرام

عينا كيان كانتا تلمعان تحت ضوء الشمس، انعكاسها عليهما منحهما
جمالاً مربكاً جعلها تسرح رغم غضبها.
صرخ بصوتٍ حادٍّ: قلتُ لك أن تأتي لنفطر معاً فرفضتِ ثم أتيتِ إلى هنا!
لماذا؟

قالت ملاكُ ببرودٍ: وما شأنك؟ هل تراقبني؟
اقترب منها أكثر، ونبرته تحمل شيئاً من التملُّك: كلُّ ما يخصُّك يعنيني،
لا تتصرَّفِي دون إذني، نعم... أراقبك، وستبقى عيناك عليّ... لأنني
أخافُ.

ضيَّقتُ عينيها وقالت بسخريّةٍ خفيفةٍ: تخاف... مني؟
وضع يده على فمها فجأةً، واقترب حتّى أصبحت أنفاسه تلامسها، وقال
بصوتٍ منخفضٍ: أخافُ عليك يا صغيرتي... أنتِ هشةٌ أكثر ممّا تظنّين.
ثمّ طبعَ قبلةً خفيفةً على خدّها الأيمن، قبل أن يمسك يدها ويسحبها نحو
سيّارته.

سارت معه كأنّها جسدٌ بلا روح، عقلها متجمّدٌ وقلبها عالقٌ في تلك
اللحظة، بينما امتزجت رائحةُ عطره مع أنفاسه المشبعة بدخان السجائر
لتزيد ارتباكها.

مرّت دقائق، والسيّارة تشقُّ الطريق بصمتٍ ثقيل.
وأخيراً، كسرت ملاكُ الصمت: إلى أين نذهب؟
أجاب دون أن ينظر إليها: إلى الشركة.
قالت بحدّة: ولماذا؟

أجاب ببرودٍ: نسيت أنّك تعملين هناك؟
تنهّدت بسخريّة: وأنت جئت لتأخذني بنفسك؟ هل من الطبعيّ أن
يتصرّف المدير مع موظّفاتِه هكذا؟

ظل الغرام

التفت إليها كيانٌ بنظرةٍ حادّةٍ وقال: أنتِ لستِ كأَيِّ أحدٍ... أنتِ مَلَكٌ، لا
تقارني نفسك بالبقية.
قطبتُ حاجبيها وردّتْ بحدّةٍ: وأنتَ عديمُ الذّوقِ، اللّعنةُ عليك.
اشتدّ فكّه وكاد الغضبُ يسيطرُ عليه، لكن لحسنِ الحظّ توقّفتِ السيّارةُ
أمامَ الشركةِ في تلكَ اللحظة.
نزلَ كلاهما بصمتٍ، واتّجهَ كلُّ منهما إلى مكتبه.

بعد ساعة...

طرقَ أحدُ الموظّفينَ البابَ، ثمّ قالَ باحترامٍ: آنستي، السيّدُ كيانُ يُبلغك
بوجودِ عشاءٍ عملٍ مهمٍّ، وستكونينَ ضمنَ الحضورِ، وقد يستمرُّ حتّى بعدَ
منتصفِ الليلِ.

أوماتُ مَلَكٌ بانزعاجٍ وقالتُ بتهكّمٍ: وهل أنا راقصة؟
ابتسمَ الموظّفُ بخفّةٍ ثمّ استأذَنَ وغادرَ.
أمسكتُ هاتفها سريعاً، وأرسلتُ رسالةً إلى سيدهارت: أظنُّ أنّ كيانَ
يخطّطُ لشيءٍ ما.. سأكتشفه، اخرجِ أنتَ وملكُ إلى المهمّةِ.
لم يطلِ الانتظارُ حتّى جاءها الرّدُّ: حسناً، انتبهي لنفسك جيّداً.
تأمّلتِ الشّاشةَ للحظةٍ وعيناها تضيقان، وكأنّها تستعدُّ للدّخولِ في لعبةٍ
أخطرَ ممّا كانت تتوقّعُ.

في مكتبه، وقفَ كيانٌ أمامَ النّافذةِ، نبرتهُ هادئةٌ لكن حاسمةٌ: جهّزي عدّةَ
أثوابٍ أنيقةٍ، دعي مَلَكٌ تختارُ منها، وإن رفضتِ، أخبريها أنّي منُ
أرسلها.

كانت مَلَكٌ جالسةً في مكتبها، تنظرُ في ملفّاتِ الشركةِ بعينٍ دقيقةٍ، وكأنّها
تبحثُ عن خيطٍ خفيٍّ وسطَ بحرٍ من الأرقامِ.

ظلّ الغرام

طُرقَ البابُ بخفّةٍ، ثم دخلتُ ريمٌ بابتسامةٍ لطيفةٍ: مرحبًا، آنستي.
رفعت مَلاكُ نظرَها: أهلاً ريمُ، تفضّلي، اجلسي.
جلست ريمٌ وقالت مباشرةً: السيّدُ كيّان طلبَ أن نذهبَ معًا لاختيارِ فستانٍ،
أو يمكنكِ الاختيارُ عبر الهاتفِ وسيصلكِ فورًا.
سكتتُ ملاكُ... شردتُ عيناها وبدأتِ الأسئلةُ تتزاحمُ في عقلها.
مَلاكُ... مَلاكُ؟ أينَ سرحتِ؟
انتبهتُ فجأةً، ونظرتُ إليها.
في داخلها تمتمتُ: أَيْظَنُ أَنْ لَيْسَ لَدَيَّ مَلابِسُ؟
لكنّها توقّفتُ، وارتسمت على شفّتها ابتسامةٌ خفيفةٌ، ثمّ قالت: حسنًا،
بعدَ قليلٍ نذهبُ.
ابتسمتُ ريمٌ ونهضتُ: إذا سأنتظركِ أمامَ الشَّرْكةِ بعدَ عشرِ دقائقَ...
وغادرتُ.
أمسكتُ مَلاكُ الملفَّ الذي شعرتُ أَنَّ فيه تلاعبًا، ثمّ خرجتُ بخطواتٍ
ثابتةٍ نحوَ مكتبِ كيّانٍ.
داخلَ المكتبِ، كانَ كيّانٌ يجلسُ مع عليٍّ يتحدّثانِ بتركيزٍ عميقٍ.
اقتربتُ ملاكُ مِنَ البابِ ومدّت يدها لتفتحه... لكنّها توقّفتُ.
صوتُ عليٍّ كانَ منخفضًا: هناكِ شاحنةٌ قريبةٌ ستصلُ إلى البلادِ خلالَ
يومينِ.
ردّ كيّانٌ بهدوءٍ خطيرٍ: جيّدٌ... إذا سنلتقي بعائلةِ الباشا.
قالَ عليٌّ بنبرةٍ تحملُ طمعًا واضحًا: كلُّ هَمِّكَ هذهِ العائلةُ! هذهِ الشّاحنةُ
ستجلبُ لنا ملايينَ لا تُحصى.
تجمّدتُ مَلاكُ مكانها، وفجأةً رنَّ هاتفها
همستُ بغِيظٍ: اللّعة!

ظلّ الغرام

لم يعد هناك مجالٌ للتراجع، فطرقت البابَ ودخلتُ.
رفعَ عليّ رأسه مبتسماً: أهلاً مَلَكُ.
ردّتْ بهدوءٍ: أهلاً بك، سيّد عليّ.
ضحك بخفّةٍ: نادني عليّ فقط... لا أحبّ التّعاملات الرّسميّة.
أومأت: كما تريد، عليّ.
تدخّل كيّان بنبرةٍ مباشرةٍ: مَلَكُ... ماذا هناك؟
نهض عليّ: سأخرجُ.
لكنّ مَلَكُ أمسكتُ معصمهُ بسرعةٍ: لا، ابق، هناك أمرٌ يجبُ أن يُقالَ.
اشتدّت يدُ كيّانٍ على المكتب، وعيناهُ احمرّتتا غضباً.
لاحظَ عليّ ذلك فنظرَ إلى مَلَكُ بهدوءٍ، فتركتُ يدهُ برفقٍ.
قالَ كيّانُ ببرودٍ متوتّرٍ: اجلسا.
وضعتُ مَلَكُ الملفّ أمامهما: هذا الملفّ، أشعرُ أنّ فيه تلاعباً.
قطّب كيّانُ حاجبيه: وما هذا؟
أجابتهُ بثقةٍ: جمعتهُ بنفسي، كلُّ التّفاصيل التي بدت غيرَ طبيعيّةٍ
وقدّمتُهُ إلى عليّ، بدأ يتصفّح الصّفحات بتركيزٍ، وعيناهُ تنتقلان بين
الملاحظات والخطوط التي أضافتها.
بعدَ لحظاتٍ، قالَ دونَ أن يرفعَ رأسه: مَلَكُ، يمكنكِ الخروجُ، سنتولّى
الأمرَ.
نظرتُ إليهما للحظةٍ، ثمّ خرجتُ بصمتٍ.

بعدَ وقتٍ قصيرٍ، كانت معَ ريمَ في المركزِ التجاريّ.
وفي المكتب، قالَ كيّانُ بصوتٍ منخفضٍ: ما الذي وجدتهُ؟
أجابَ عليّ: أتذكّرُ عندما خسرنا الأرباحَ وتوقّفتِ الحملةُ فجأةً، وفي
نفسِ الوقتِ انتقلتِ لعائلةِ الباشا؟

ظل الغرام

تصلَّب وجهُ كيَّانٍ: هناك جواسيسُ داخلَ الشَّركةِ.
أوماً عليّ: أظنُّ أنَّ المحاميَّ هو المسؤولُ.
نظرَ كيَّانُ بعينينِ مشتعلتينِ: غداً أريدُ كلَّ المعلوماتِ.
بعدَ ساعتينِ عادتِ مَلاكُ، كانت تتردي فستائاً ناعماً ينسابُ على جسدِها
برُقيٍّ، وشعرُها مصفَّفٌ بأسلوبٍ بسيطٍ يبرزُ ملامحَها، معَ مكياجٍ هاديٍّ
وعطرٍ يسبقُ حضورَها.
خرجَ كيَّانُ من مكتبهِ ليرى الموظفينَ يستعدُّونَ للمغادرة، لكنَّ همساتِهِم
كانت تدورُ حولَها... انبهارٌ صامتٌ بجمالٍ لا يُتجاهلُ.
تصلَّبَ للحظةٍ ثمَّ تقدَّم نحوُها، لكنَّها سبقتهُ واتَّجهت إلى مكتبِها بسرعة.
فتحتِ الدَّرَجَ المقفلَ، أخرجتِ مسدَّسَها ووضعتهُ داخلَ حقيبتِها بعنايةٍ،
ثمَّ غطَّتهُ بمستحضراتِ التَّجميلِ وبعضِ النقودِ، محاولةً إخفاءهُ بإتقانٍ.
أغلقتِ الحقيبةَ، وخرجتِ مسرعةً لتجدَهُ واقفاً أمامَ مكتبِها.
لم يمهلها فرصةً... أمسكها فجأةً وسحبها بقوةٍ إلى داخلِ المكتبِ، ثمَّ
أغلقَ البابَ خلفَهما بإحكامٍ.
قالت مَلاكُ بحدَّةٍ وعيناه تشتعلانِ غضباً: ما بك؟ هل جُننتَ، أم أصابَ
عقلَكَ خللٌ أيُّها الغبيُّ؟!
لم يُجبها كيَّانُ، اتَّجهَ بهدوءٍ باردٍ نحوِ الخزانةِ، فتحَ أحدَ الأدراجِ وأخرجَ
قطعةَ قماشٍ صغيرةً، ثمَّ عادَ ومدَّها نحوُها.
قطبتِ حاجبيها: ما هذه؟
أجابَ ببرودٍ: قطعةُ قماشٍ، ألا ترين؟
زادت حدَّثُها: ولماذا؟
في لحظةٍ خاطفةٍ، أمسكَ معصمَها بقوةٍ وسحبها نحوَهُ، ثمَّ أجلسها على
الكُرسيِّ.

ظل الغرام

انحنى أمامها حتى أصبح في مستوى وجهها، بينما اتسعت عيناها بدهشة
لم تستطع إخفاءها.

وقبل أن تستوعب ما يحدث، وضع القماش على شفتيها ومسح أثر أحمر
الشفاة ببطء متعمد، حتى تلاشى اللون الصارخ، وترك أثراً باهتاً بالكاد
يُرى، ثم وضع القماش في جيبه وكأن الأمر لا يعني شيئاً، أمسك يدها
مجدداً وسحبها خارج المكتب.

مرأاً أمام الموظفين... نظرات متفاجئة، همسات مكتومة، وهي تسير بجانبه
في صدمة كاملة، كأن حواسها قد تجمدت.

فتح لها باب السيارة، فجلست دون مقاومة، ثم دار حولها وجلس خلف
المقود وأدار المحرك.

شغل أغنية هادئة، كلماتها تتحدث عن عشق يمتلك تفاصيل الروح، ساد
الصمت، وهي تنظر أمامها، بينما كان هو يرمقها بين الحين والآخر.
كلاهما يملك أسئلة كثيرة، لكن الصمت كان أقوى.

توقفت السيارة أمام فندق فاخر، تلمع واجهته تحت أضواء المساء، نزلا
معاً ودخلا إلى الداخل، وما زال الصمت يرافقهما كظل ثقيل، لكن هذه
المرّة، لم تتحمل ملاك.

أمسكت معصمه فجأة وأوقفته، ثم نظرت إليه مباشرة: كيان!
رفع عينيه إليها، تلاقت نظراتهما، عيناها الخضراوان كانتا آسرتين بشكل
مربك، جعلها تقترب دون وعي.
رفعت نفسها قليلاً لكنها لم تصل.

ابتسم بخفة وانحنى نحوها: ماذا يا صغيرة؟ هل هناك شيء على وجهي؟!
وفي لحظة غير متوقعة، طبعت قبلة خفيفة على خده، ثم ابتعدت بسرعة
ومضت إلى الداخل.

ظلّ الغرام

تجمّد كيّانٌ لثانيةٍ، ثمّ لحقَ بها بخطواتٍ سريعةٍ وناداهَا: مَلَاكُ!.. الطَّاولَةُ
منَ الجهةِ اليمْنى، وليسَ اليسرى.
توقّفت ثمّ غيّرت اتّجاهَهَا بصمتٍ وتبعتهُ.
جلسا معًا، وما إن مرّت ثوانٍ معدودةٌ حتّى اقتربَ منهما رجلٌ وامرأةٌ.
جلسوا حولَ الطَّاولَةِ، وبدأَ الحديثُ يدورُ عن العملِ، بينما كانت مَلَاكُ
تدوّنُ الملاحظاتِ بدقّةٍ.
فجأةً رنّ هاتفُ راغافَ.

نظرَ إلى الشَّاشةِ ثمّ أجابَ، وملامحُه تتغيّرُ تدريجيًّا:
"Depoya saldırdılar, hemen oraya gidin."

اشتدَّ وجهُ كيّانٍ فورًا، وردَّ بحدّةٍ:

"Kahrolsunlar, hemen gidiyoruz. Yapılacak çok iş
var."

نظرتُ زوجةُ راغافَ بقلقي: ماذا هناك؟
ابتسمَ راغافُ ابتسامةً خفيفةً مصطنعةً: لا شيء... كنتُ فقط أحييه
بالتُّركيَّة، لأرى إن كان يفهمُ اللُّهجةَ.
نهضَ كيّانٌ سريعًا: لننطلقْ إذاً.
وفي داخلهِ كان يفكّرُ... يجبُ أن أوصلَ مَلَاكُ إلى سيارَةٍ تُنقلها بأمانٍ.
وقفت مَلَاكُ: هيّا، بأمانِ الله.
قالَ راغافُ وزوجتهُ: بأمانِ الله.
في الخارجِ قالَ كيّانُ بنبرةٍ حاسمةٍ: سأجعلُ السَّائقَ يوصلُك إلى المنزلِ.
ردّت فورًا: لا، أريدُ أن آتي معك.
التفتَ إليها بحدّةٍ: هذا غيرُ ممكنٍ.
نظرتُ إليه نظرةً صامتةً، لكنّها مليئةٌ برجاءٍ عنيدٍ.

ظلّ الغرام

تنهّد، ثمّ استسلم أخيراً: بشرط... لن تسألني عن أيّ شيءٍ، ولن تخرجني من
السّيّارة مهما حدث، اتّفقنا؟
أومات سريعا: اتّفقنا.

انطلقت السّيّارة كالسّهم، تشقّ الطريقَ بسرعةٍ جنونيّةٍ.
وخلال دقائق، كانا أمام المستودع، أوقفَ كيانُ السّيّارة، التفتَ إليها
بعينين جادّتين: لن تخرجني من هنا حتّى لو رأيتني ميّتا.
ثمّ أخرج مسدّسا وأعطاه إياه: احتفظي به.
هزّت رأسها بصمتٍ، ترجّل من السّيّارة وركض نحو الدّاخل، حيثُ كانت
أصواتُ الاشتباك تتعالى.
مرّت الدّقائِقُ واحدةً تلو الأخرى، ثمّ سكّونٌ، فنصفُ ساعةٍ من الصّمتِ
القاتل.

قبضتُ ملاكُ على المُسدّس، وبدأ القلقُ ينهشُ صدرها.
همست لنفسها: يجبُ أن أتحركَ.
نزلتُ بهدوءٍ، ثمّ توقّفتُ بانزعاجٍ، فستانها لا يناسبُ هذا الموقفَ، خلعت
حذاءها ذي الكعب العالي وتركته في السّيّارة، ونزلتُ حافية القدمين،
فتحت صندوقَ السّيّارة بسرعةٍ وأخرجتُ ملابسها التي كانت ترتديها
صباحاً، عادتُ إلى الدّاخل، وأغلقتُ البابَ بإحكامٍ ثمّ بدّلتُ ملابسها
بسرعةٍ خاطفةٍ.

ارتدت حذاءً رياضيّاً، وأحكمتُ قبضتها على سلاحين واحدٍ في يدها
اليمنى والآخر في اليسرى.
أخذتُ نفساً عميقاً ثمّ تقدّمتُ نحو المستودع، دخلتُ بخفّةٍ كظللٍ يتسلّلُ
في الظّلام.

لكنّ ما رآته جمّد الدّم في عروقها، كان كيان مقيّداً يتعرّضُ للضّرب بعنفٍ
وأمامها رجالُ العنكبوت، بقيادة زهرة.

ظل الغرام

تسللت ملاك إلى الداخل بخفة قاتلة، تتحرك بين الظلال كأنها جزء منها.
توقفت خلف صف من الصناديق الكبيرة، بالكاد تخفي جسدها، لكن زاويتها
كانت كافية لترى ما يحدث أمامها بوضوح.

هناك، كان كيان مقيّداً، جسده مُثقلٌ بالجراح، ورأسه مُتدلّ بلا حراك، فاقداً
للوعي.

تقدّمت زهرة نحوه ببطءٍ مستفزٍّ، ثم رفعت يدها وصفعته بقوة.
صوت الصفعة تردّد في أرجاء المستودع مرّة تلتها أخرى، حتّى اهتزّ رأسه قليلاً
وبداً وعيه يعود تدريجياً.

رفعت زهرة يدها، وأشارت للحراس: اخرجوا جميعاً من المستودع.
تردّدوا لحظة ثمّ امتثلوا للأمر وتركوا المكان لهما وحدهما.
اقتربت منه أكثر وانحنّت حتّى أصبح وجهها قريباً من وجهه: أتذكّر عندما
قلت لك أنّك ستكون عند قدمي؟
رغم الألم ورغم الدّم الذي سال من شفثيه، ابتسم كيان ثم بدأ يضحك ضحكة
ضعيفة لكنّها مستفزة.

تجمّد وجه زهرة للحظة، ثم اشتعل غضبها وصفعته بقوة أشد.

مال رأسه جانباً، لكن ضحكته لم تختف.

قالت بسخرية باردة: أوه... آسفة.

ثمّ اقتربت أكثر وطبعت قبلة على المكان الذي ضربته.

في تلك اللحظة، انقلب المشهد.

سُحبت زهرة بعنفٍ وسقطت أرضاً قبل أن تستوعب ما حدث.

رفعت رأسها بصدمة لتجد ملاك واقفة أمامها، عيناها تشتعلان غضباً قاتلاً،

وسلاحها موجه بثبات.

قالت بصوت منخفض لكنّه مليء بالاحتقار: أيتها القذرة المُقرفة.

رفع كيان رأسه بصعوبة، وعيناه نصف مغلقتين، وصوته بالكاد يُسمع: ملاك..

ظل الغرام

التفتت إليه فوراً وتبدلت نظراتها القاسية إلى حنانٍ عميقٍ: أنا هنا بجانبك.
ابتسمت زهرة بسخريةٍ وهي تراقبُ المشهد: يبدو أن حبيبك قد وصلت، هيا
يا كيان انهض واستقبلها.

قطبت ملاك حاجبيها ونظرت إليها بعدم استيعاب: من قال أنني حبيبته؟
اتسعت ابتسامة زهرة، وكأَنَّها وجدت ما تنتظره: مكتبه الخاص... مليءٌ
بصورك.

ترددت ملاك لوهلة، نظراتها تذبذبت بين الشك والرفض.
تابعت زهرة بنبرة هادئةٍ لكنَّها مسمومة: ألا تصدِّقيني؟ تعالي معي.
وقفت زهرة ببطءٍ، بينما بقيت ملاك متأهبة تمسكُ سلاحها بإحكام.
نظرت سريعاً إلى كيان الذي كان بين الوعي واللاوعي، عاجزاً عن التداخل.
تحركت خلف زهرة بحذرٍ، خطواتها صامتةٌ لكنَّ عقلها يضحُّ بالأسئلة.
دخلتا غرفةً جانبيةً، مكتبٌ عاديٌّ، هادئٌ، خالٍ من أي شيءٍ لافتٍ.
توقفت ملاك وقالت ببرودٍ حذرٍ: أهذا ما كنتِ تقصدينه؟
لكنَّ زهرة لم تجب.

مدَّت يدها نحو لوحةٍ على الحائط، وضغطت عليها بخفَّةٍ، وإذ بصوتٍ خفيٍّ،
تحركت اللوحة ببطءٍ، لتكشفَ خلفها غرفةً سرِّيَّةً.
تجمدت ملاك في مكانها، خطت خطوةً إلى الداخل وعيناها تتسعان تدريجياً
الجدران كانت مغطاةً بالكامل.

صورٌ، لا بل العشرات، أو حتَّى المئات منها، وجميعها كانت لها.
في المكتب، الشارع، وفي الحفلات، حتَّى في لحظاتٍ لم تكن تعلم أن أحداً
يراقبها فيها.

تباطأت أنفاسها، ارتجفت أصابعها التي تمسكُ بالسلاح، ثم همست بذهولٍ
يكاد يُسمعُ: ما هذا بحق السماء؟!!

ظل الغرام

وقفت زهرة خلفها، تراقب ردة فعلها بعينين لامعتين: والآن... هل ما زلت لا تصدقين؟

قالت ملاكٌ بحدّة وهي تمسك ذراع زهرة بعنف: اخرسني! أظنّني أنّي سأصدق هراءك؟

شدّتها بقوة، وسحبها حيث يقف كيان.

في تلك اللحظة، بدأ كيان يستعيد وعيه تدريجياً، أنفاسه متقطّعة، ونظره مضطرب.

انحنت ملاكٌ سريعاً وفكّت قيوده بيدٍ مرتجفة لكنّها ثابتة.

وقبل أن تكتمل اللحظة... صوت خطوات ثقيلة.

ودخل العنكبوت.

ابتسامة باردة ارتسمت على وجهه، وعيناه تلمعان بخبث: يا أهلاً بملاك.

وفي ثوانٍ... انتشر رجاله وأحاطوا بملاك وكيان من كلّ الجهات.

توتر الهواء وكأنّ المكان يختنق.

اقتربت زهرة والغضب يتفجّر في عينيها.

صفعة دوى صوتها في كلّ المكان سقطت على وجه ملاك، قالت باحتقارٍ لاذع:

أيّتها الحشرة، هل تظنّني نفسك شيئاً؟ أنت لا شيء!

اقتربت أكثر وهمست بسم بارد: رأيت هوس كيان بك؟ رأيت كيف يراقبك؟

ابتسمت بسخرية قاتلة: هو لا يحبّك هو يريد امتلاكك فقط أيّتها الشيطانة اللعينة.

تجمّدت ملاكٌ لثانية، عينيها تحرّكت نحو كيان، إذ كان يهز رأسه بصعوبة، وصوته بالكاد يُسمع: لا تصدّقيها...

الصراع اشتعل في عينيها.

الغضب، الشك، الخوف، المشاعر كلها اصطدمت في لحظة واحدة.

احتدم التوتر، وفجأة...

رفعت زهرة سلاحها موجهة إياه نحو كيان.

لكن، ملاك كانت أسرع، في جزءٍ من الثانية رفعت سلاحها، طلقة أصابت رأس زهرة، طلقة ثانية استقرّت في بطنها.

سقط جسد زهرة أرضاً بلا حراك.

عم الصمت لثانية واحدة فقط، ثم انفجر المكان.

ظلّ الغرام

انحنى العنكبوت فوق جسد زهرة، يضع أصابعه على عنقها ليتحسّس النبض،

ثانيةً، ثانيتان، ثمّ تجمّد.

رفع رأسه ببطء، وعينه اشتعلتا غضبًا قاتلاً: نبضها توقّف.

نظر إلى ملاك بذهول ممتزج بالجنون: ماذا فعلت أيتها المجنونة؟!

في لحظة خاطفة تقدّم أحد رجاله وضرب كيانه بقوة على رأسه.

سقط أرضاً فاقدًا للوعي.

وقبل أن تتحرّك ملاك صفعته عنيقةً أطاحت بها أرضاً، تشوّشت رؤيتها...

ثمّ أحاط بها الرجال، غطّوا رأسها، وأحكموا تقييدها، وأغلق فمها بقسوة.

لم يمض وقتٌ طويلٌ حتّى اختفى كلُّ شيءٍ في الظلام.

في مكانٍ آخر...

قالت ملكٌ بقلق: سيدهارت، هيّا، يجب أن نخرج.

كان سيدهارت يقرأ رسالةً، لكنّ ملامحه تغيّرت فجأةً وكأنّ الدّم انسحب من

وجهه.

رفع رأسه بسرعة: ملاك في ورطة، يجب أن نذهب لإنقاذها.

قالت ملكٌ بحزم: علينا أن ننقذ أنفسنا أولاً ونخرج من هنا، ثمّ نعود لها.

تبادل النظرات معها، ثمّ خرجا.

بدأ بالتسلّل عبر الممرّات، حتّى وصلا إلى الغرفة السريّة، ذلك المخرج الذي

اكتشفته ملاك سابقاً ولم يلحظه أحد.

تحرّكا بحذر، أنفاسهما مكتومة، خطواتهما محسوبة، حتّى خرجا دون أن

يُكتشف أمرهما.

كانا يحملان معلوماتٍ كفيلاً بتغيير كلِّ شيءٍ، لكنّ الأهمّ الآن ملاك.

أخرج سيدهارت هاتفه واتّصل فوراً.

ردّ عليّ وصوته يحمل استغراباً واضحاً: كيف حالك؟

قال سيدهارت بسرعة: لا وقت، هناك مشكلةٌ كبيرة، ملاك وكيان محتجزان.

صمتٌ لثانيةٍ ثمّ أكمل: بعد ساعة أراك في منزل ملكٍ جهّز رجالك.

تنفّس عليّ بقلق: حسناً، بأمان الله.

ظل الغرام

في مكان الاحتجاز، كان الظلام ثقيلاً، رائحة رطوبة ودم.
كان كيّان وملاك مقيدَين، كلُّ منهما على كرسيّ متقابلين.
بدأت ملاك تحرك يديها بصعوبة تحاول الوصول إليه، تهمسُ بقلبي: كيّان...
كيّان... استيقظ أرجوك.
تحرك قليلاً، ثم سعل بشدّة وعاد إليه وعينه تدرجياً
نظر إليها بصعوبة: أنت بخير؟
أجابت بسرعة: نعم، أنا بخير، خذ نفسك وفكر، يجب أن نخرج من هنا، لن
نبقى أحياء إن بقينا.
أغمض عينيه لثانية ثم سأل بصوت خافت: هل ما زالت زهرة على قيد الحياة؟
صمتت لحظة ثم قالت: لا، ماتت.
شدّ على أسنانه: اللعنة.
نظرت إليه بحدّة: لماذا؟ هل حزنت عليها؟
رغم حالته... ضحك ضحكة ضعيفة لكنها حقيقية: لا، بل لأننا لن ننجو إلا
بمعجزة.
خفضت ملاك نظرها وهمست: أنا من سيموت، أنا من قتلتها.
رفع رأسه بصعوبة، وثبت نظره عليها: روحك وروحي واحدة.
تجمّدت ملاك..
أكمل وصوته يزداد عمقاً رغم ضعفه: إن أصابك شيء أصابني أضعافه ولن
أرحم من يحزنك.
ثم همس بثبات غريب: لا تخافي لن تموتي، وإن مت سأكون معك.
نظرت إليه ملاك بعينين لامعتين رغم أن القيود والمسافة بينهما حالت دون
اقترابهما، قالت بصوت خافت: أتيت إلى هنا بمهمة، لم أتوقع يوماً أنني
سأحب من يفترض أن أقبض عليه.
حرك كيّان رأسه بصعوبة، محاولاً رؤيتها من زاويته المحدودة، وقال بقلبي: أين
شاردة؟ ألا تسمعينني؟
أجابته بهدوء غريب: أسمعك.
فجأة ارتفعت أصوات إطلاق النار، اهتز المكان، وارتجفت الجدران مع دوي
الرصاص، بدأ كيّان يحاول فك قيوده بعنف، بينما ارتسمت ابتسامة خفيفة
على وجه ملاك.

ظلّ الغرام

لقد أدركتُ أنّه تمّ تعقُّبُ الموقع، وأثناء ذلك لمحتُ مَلَكٌ شيئاً على الأرض.

إنّها قطعةُ زجاجٍ، قالت بسرعة: كيان... هناك قطعةُ زجاجٍ، إن استطعنا الوصول إليها..

شدّ كيانُ جسدهُ بقوةٍ وبدأ يهزُّ الكرسيَّ بعنفٍ، فسقطا أرضاً، تألمتُ مَلَكٌ لكنّها زحفت تحاولُ الوصولَ إلى القطعة.

كانتُ قريبةً لكنّها بعيدةٌ في الوقتِ نفسه.

وفجأةً، انفتحَ البابُ بعنفٍ، دخلَ شابٌ طويلُ القامةٍ، ملامحُه حادةٌ، عيناهُ داكنتانِ، وشعرُه الأسودُ مبعثرٌ تتخلّلهُ خيوطٌ بيضاءٌ خفيفةٌ.

قال بثقةٍ: لا تخافا!

انحنى بسرعةٍ وفكّ قيودَهُما باحترافٍ، وقفَ كيانٌ مترنِّحاً ونظرَ إليه بدهشةٍ: جودُ الباشا؟!

ردّ بسرعةٍ: لا وقتَ، خُذ سلاحك، وأنت أيضاً...

الرّصاصُ يتطايرُ في كلِّ اتّجاهٍ كالْمَطَرِ.

دخلَ سيدهارتُ مُسرّعاً وضمَّ كيانَ بقوةٍ: هل أنت بخير؟

أجابهُ وهو يلتقطُ أنفاسَهُ: لا تقلق، أنا بخير.

ابتعدَ قليلاً ونظرَ إلى مَلَكٍ: وأنت؟

أجابت وما زالت تحت وقع الصّدمة: بخير.. بخير

الرّصاصُ ينهالُ بلا توقّف، وفي لحظةٍ خاطفةٍ، كانتُ مَلَكٌ تقفُ جانباً في غير انتباهٍ وفجأةً.. رصاصةٌ تتجهُ نحوها، لكن اندفعَ عليّ ودفعها بقوةٍ إلى الجانب، لتُصيبَ الرّصاصةُ صدرَهُ.. وسقطَ أرضاً.

كان الحدثُ كسرعةِ الضّوء ورَبَّما أسرع، لم يستطيعوا إدراكَ ما حدث بعد صرختُ مَلَكٌ واندفعتُ نحوهً، ووضعتُ رأسَهُ في حضنِها، تبكي بانهيارٍ: لا... لا تمت... استيقظ!

لكنّه لم يجب..

ركضَ كيان ومَلَكٌ نحوهً، بينما كان جودٌ يغطّيهم بإطلاقِ النَّارِ.

كانتُ مَلَكٌ تصرخُ: مات... مات... مات! كلُّ هذا بسببي، بسببي!

تجمّدَ كيان ثمّ سقطَ على ركبتيه، ولأوّل مرّةٍ، انهمرتُ دموعُهُ.

صرخَ بجنونٍ: عليّ! عليّ! عليّ!

ظلّ الغرام

اقترب سيدهارتُ بسرعةٍ وانحنى، وضربَ صدرَ عليٍّ بقوةٍ: انهضْ أيُّها الكاذبُ، انهضْ!

ثمَّ قالَ بثقةٍ: إنَّه يرتدي سترَةً واقيةً... الرِّصاصةُ لم تخترقها! لحظةً صمتٍ، ثمَّ تحرَّكَ عليٌّ، فتحَ عينيه ببطءٍ وتأوَّه: لكنَّها تؤلِّمني. اتَّسعتْ عينا مَلِكٍ بصدمةٍ.

أمَّا كيَانُ فاندفعَ نحوهً وضربهُ على وجهه: اللَّعنةُ عليك أيُّها الأحمقُ. ثمَّ جذبَهُ إليه بقوةٍ والغضبُ يخفي خوفاً عميقاً لم يعترف به. نهضَ عليٌّ بسرعةٍ محاولاً الوصولَ إلى ملك، لكنَّ زخاتِ الرِّصاصِ الكثيفةَ أجبرتهُ على التراجع.

اشتدَّ الاشتباكُ، وامتلاً المكانُ بصوتِ الطَّلقاتِ والصَّراخِ، قبلَ أن يبدأ رجُلُهُم بالانسحابِ التدريجيِّ.

وقفَ العنكبوتُ بعيداً وعيناهُ تشتعلانِ حقداً، ثمَّ صرخَ بصوتٍ غاضبٍ: سأنتقمُ منكم جميعاً، انتظروني وحسب.

ثمَّ اختفى في الظلامِ..

انطلقَ سيدهارتُ خلفه، لكنَّه لم يتمكَّن من اللحاقِ به.

في الجانبِ الآخرِ... حاولَ عليٌّ التَّقدُّمَ نحو مَلِك، لكنَّها كانت قد ابتعدت، رحلتْ بصمتٍ ثقيل دونَ أن تلتفت.

تجمَّدَ مكانه للحظةٍ، ثمَّ لحقَ بها دونَ تردّدٍ.

لم يبقَ في الموقعِ سوى جودُ وكيان وسيدهارت.

وبينما كانوا يتبادلون الحديثَ، سقطَ كيَانُ فجأةً على الأرضِ.

جسدهُ لم يعدَ يحتملُ، غابَ عن الوعي منهكاً من التعذيبِ والضَّربِ.

اندفعوا نحوهً بسرعةٍ، ثمَّ حملوهُ دونَ تأخيرٍ واتَّجهوا به إلى المستشفى.

بعدَ ساعةٍ...

وقفَ سيدهارتُ أمامَ الطَّبيبِ بقلقي واضح: كيفَ حاله، أيُّها الطَّبيبُ؟ كانتْ مَلَاكُ تقفُ بصمتٍ، عيناها معلَّقتانِ بوجهِ الطَّبيبِ، تنتظرُ كلماتِه.

ظلّ الغرام

رغمَ جروحِها التي غَطَّتها بقطعِ قماشٍ صغيرةٍ، إلّا أنَّ أَلَمَها كانَ ثانويًّا
الآنَ، فكلُّ ما يشغلُّها هو كيانُ.

قالَ الطَّبيبُ بهدوءٍ: هو بخيرٍ، يحتاجُ فقط إلى الرَّاحةِ وهذه الأدويةُ.
ومدَّ الورقةَ إليه.

قالَ سيدهارتُ فورًا: سأجلِّبُها أنا.

وغادرَ بسرعةٍ، التفتتُ ملاكُ نحوِ جودٍ، ونظرتُ إليه بامتنانٍ صادقٍ:
شكرًا لك، لقد كنتَ كالأسدِ، ووصلتَ في الوقتِ المناسبِ.

ابتسمَ جودٌ بهدوءٍ: هذا واجبي.

ثمَّ تردَّدَ قليلًا قبلَ أن يقولَ: هل يمكنني أن أسألكِ سؤالًا؟
أومأتُ: بالطبع، تفضّل.

نظرَ إليها بتركيزٍ: من أينَ أتيتِ؟ ومنَ أنتِ حقًّا؟

توقَّفتُ للحظةٍ ثمَّ أجابتُ بنبرةٍ متماسكةٍ، رغمَ الارتباكِ الخفيِّ: أنا من
هنا لكنني كنتُ خارجَ البلادِ، وعدتُ منذُ فترةٍ.

ضيقَ جودُ عينيه قليلًا: غريبٌ، لا أشعرُ أنَّكِ من هنا، رغمَ أنَّكِ
تحدِّثينَ اللِّغةَ بطلاقةٍ.

اقتربتُ خطوةً ووضعتُ يديها على كتفيه، بابتسامةٍ خفيفةٍ: اطمئنَّ،
لستُ شرطيةً.

ضحكتُ بخفّةٍ، لكنَّ جودَ لم يبتسمَ.

قالَ بهدوءٍ يحملُ شكًّا واضحًا: لا أعلمُ، ربّما تكونينَ كذلكِ.

تجمّدتُ ابتسامتها لجزءٍ من الثانيةِ، شيءٌ خفيٌّ تسلَّلَ إلى داخلِها،
الشكُّ.

لكنّها سرعانَ ما استعادتُ توازنَها، وضحكتُ وكأنَّ شيئًا لم يكنِ، رغمَ
أنَّ داخلَها لم يكنِ مطمئنًا كما يبدو.

ظلّ الغرام

قالت مَلَكٌ بهدوءٍ: ما رأيك أن نذهبَ إليه؟
أجابها جود: هيّا.
دخلَا الغرفةَ... كانَ كيَانُ مستيقظًا، وما إن رآها حتّى نهضَ فورًا.
اندفعتْ مَلَكٌ نحوهً بسرعةٍ: إلى أين؟!
ابتسمَ بخفّةٍ رغمَ الإرهاقِ: أنا بخير، فقط سئمتُ الجلوسَ.
انطلقتْ قهقهةُ جودٍ من الخلفِ: الظلامُ لا يعرفُ الرَّاحةَ يا مَلَكُ.
ضحكُ كيَانُ، ونظرَ إليها: ومَلَكُ ظِلِّي.
تلاقتْ أعينهما، التي تلمعُ بشيءٍ لم يعد يُخفى.
قالَ جودٌ بسرعةٍ مع ابتسامةٍ مأكرةٍ: يبدو أنكما تحبّان بعضكما.
نظرَ كيَانُ إليها بوضوح، حبٌّ صريحٌ دونَ كلماتٍ.
تبدّلتْ ملامحُ مَلَكٍ فجأةً، وقالتْ بحدّةٍ خفيفةٍ: جودُ، اتركنا وحدنا قليلًا.
رفعَ يديه باستسلامٍ: حسنًا، أنا ذاهبٌ، إن احتجتما شيئًا، فأنا بالخارج.
قالا معًا: شكرًا، بأمان الله.
غادرَ، وأغلقَ البابَ خلفه.
سادَ صمتٌ قصيرٌ... كانَ وجهُ مَلَكٍ محمرًّا كأنَّ الدّمَ تدفّقَ إليه فجأةً، بينما
كانَ كيَانُ ينظرُ إليها باستغرابٍ ممزوجٍ بالاهتمامِ.
قالتْ بهدوءٍ مختلفٍ: اجلسْ.
جلسَ وجلسَتْ بجانبه، لكنْ هذهِ المرةَ لم تكنْ تلكَ مَلَكُ الحادّةُ.
وضعتْ يدها على يدهِ برفقٍ، ونظرتْ إليه بعينين تغمرهما الحنانُ.
اقتربتْ ببطءٍ ثمّ طبعتْ قبلةً خفيفةً، فتجمّدَ كيَانُ.
الصّدمةُ انعكستْ في عينيه بوضوح، ابتعدتْ سريعًا وعادتْ ملامحها الحادّةُ،
كأنّها تهربُ من لحظةٍ ضعيفٍ.
فتحتْ فمها لتتحدّثَ لكنّه قاطعها بصوتٍ منخفضٍ عميقٍ: سبحانَ من جعلَ
الحنانَ فيك، سبحانَ من جعلَ اسمك كوجهك، ومن وضعَ فيك غضبًا يزيدك
جمالًا.
توقّفتْ ملاك، ابتسمتْ بهدوءٍ محاولةً استعادةً توازنها: لا تجعلني أنسى
عصبيّتي...
لكنّ عينيها قالتا شيئًا آخرَ تمامًا.

ظل الغرام

عند ملك وعلي
قالت ملك بنبرة مترددة: ما رأيك أن نخرج من هنا قليلاً؟
تنهّد علي وقال محاولاً التبرير: افهميني، أقسم أنني ما زلت متألماً من
قوة الرصاصة.
ضيقت عينيها: وما زلت تكذب وتحلف أيضاً؟
لم يجب، بل تقدّم خطوة، ثم أحاط خصرها بذراعه، واقترب منها حتى
تلاقت أنفاسهما، تجمّدت للحظة.
وفجأة، انفتح الباب.
وقف سيدهارت عند المدخل، وعينه تشتعلان غضباً: علي، ابتعد.
ابتعدت ملك بسرعة كأنها أمسكت متلبساً بشيء لم تفهمه حتى.
لكن سيدهارت لم ينتظر، تقدّم وصفع علي بقوة.
رفع علي رأسه ببطء ثم ردّ الصفعة.
صرخت ملك: ابتعدا عن بعضكما.
لكن صوتها ضاع.. فقد اشتعل الصراع.
أمسك سيدهارت بقميص علي بعنف: ماذا تفعل أيها السافل؟!
دفعه علي بقسوة وعينه تقدحان شرراً: وما شأنك أنت؟! هي ليست
حبيبتك ولا أختك!
اشتدت قبضة سيدهارت وانخفض صوته، لكنه كان أخطر: هي أعلى من
روحي، هل سمعت؟
ساد صمت ثقيل، تركه سيدهارت وتراجع خطوة.
أمّا علي، فكانت عيناه تشتعلان، لكن هذه المرة بشيء آخر... الغيرة.
وقفت ملك وقلبها يخفق بعنف، لكن... ابتسامة خفيفة مرّت في
عينيها.
لم تكن مشاعرها من طرف واحد إذاً.
نهض علي فجأة، ثم استدار وغادر دون أي كلمة.
تقدّمت ملك نحو سيدهارت وضمّته إلى قلبها الذي يكاد ينفجر من فرط
خفقانه، لكنه ابتعد.
نظر إليها بحدة خافتة: هل تحبّينه؟
ارتبكت: من؟

ظل الغرام

قال بانزعاج: علي.
هزّت رأسها بسرعة: لا... لا أحبه، ما حدث كان سوء فهم لا أكثر، خفتُ
لأنني ظننته مات بسببي.
أمسك يدها واقترب قليلاً، وصوته عاد صارماً: نحن هنا بمهمة، هذه ليست
بلادنا، ونحن في المخابرات لا تنسي ذلك.
توقّف لحظة ثم أضاف: أنا هنا كأخ لك، ولن أسمح لأي شيء أن يؤذيكَ.
تجمّدت، أكلت الخيبة قلبها حتّى ظنّت أنّها على وشك الموت.
همست ببطء: أخي!!
أكمل بهدوء أقلّ حدة: درسنا معاً، جئنا إلى هنا منذ ثلاث سنوات، وبيننا كل
شيء سويّاً، أتعتلين ألاً أخاف عليك؟
ثمّ نظرت بعيداً وأضاف بصوت أخفّ: غيرة الأصدقاء أحياناً أقسى من غيرة
العاشقين.
أومأت برأسها بصمت، ثمّ استدارت وغادرت إلى غرفتها.
أغلقت الباب خلفها، وضعت يدها على قلبها وانهمرت دموعها بصمت موجه:
لماذا لا يحبّني؟ أقسم أنّه لو طلب روعي لأعطيته إيّاها... كلّ هذه السنوات
وهو لا يراني أبداً.
رفعت عينيها، وصوتها اختنق: يا الله، لا تجعل نصيبنا بعيداً عنّ نحبّ.
بين كيان وملاك..
نظرت إليه ملاك بثبات، لكنّ داخلها كان مضطرباً: لماذا كانت صوري في
غرفتك الخاصة؟
أشاح كيان بنظره قليلاً، ثمّ قال بهدوء: سنتحدّث عن هذا لاحقاً.
اشتدّ صوتها: لا، الآن أريد أن أعرف لماذا صوري عندك؟
سكت لحظة، ثمّ زفر ببطء، وكأنّه يختار كلماته بعناية: أيعقل لأنّني عشقتك؟
تجمّدت ملامحها.
تابع، بنبرة أعمق: أو لأنّني كنت أبحث عنك طوال الوقت؟!
اقترب خطوة: أو لأنّني لا أريدك أن تدخل في هذا العالم الأسود؟

ظلّ الغرام

قطعتُ كلماتِه بحدّة: أنا من يسألُ، أنتَ من يجيبُ.
تنهّدَ ثمّ قالَ بصراحةٍ هذهِ المرّة: أعلمُ أنّك دخلتِ المستودعَ منذُ يومينِ.
اتّسعتُ عيناها.

وأعلمُ أيضًا أنّ ملكَ وسيدهارتَ عادا إليه مرّةً أخرى.
صمتَ لحظةً، ثمّ أضافَ: لكنّك لا تعلمينَ أنّ ذلكَ المكانَ ليسَ لي.
عبستُ: كيفَ ذلكَ؟

قالَ بهدوءٍ مظلمٍ: إنّهُ يتبعُ لعائلةِ الباشا.
تراجعتُ قليلًا: الباشا...؟

أومأ: نعم، عائلةُ الباشا هي اليدُ اليمنى لعائلةِ العنكبوتِ.
قالتُ بسرعةٍ: وكيفَ نصلُ إليهم؟ وهل العنكبوتُ من هذهِ العائلةِ؟
هزَّ رأسه: العنكبوتُ ليسَ منهم، لكنّه أداتهمُ.
ثمّ تابعَ شارحًا: هو من يديرُ الأعمالَ القذرة، الممنوعاتِ، التهريبَ، كلَّ شيءٍ.
عائلةُ العنكبوتِ توفّرُ المعلوماتِ، وعائلةُ الباشا تصدرُ الأوامرَ، والعنكبوتُ
ينفّذُ.

سكتتُ لحظةً ثمّ سألتُ: وماذا عن جودٍ؟
أجابَ دونَ تردّدٍ: جودٌ خارجُ هذا كلّهِ.
ثمّ أكملَ: غادرَ البلادَ وهو في الخامسةِ عشرة، وعادَ منذُ يومينِ فقط، هو صديقُ
دراسةٍ ورجلُ أعمالٍ ناجحٍ.

نظرَ إليها: أسّسَ شركاتٍ في الخارجِ، وامتدّتْ أعمالُه إلى دولٍ كثيرةٍ، زارَ العالمَ
كلّه تقريبًا، حتّى أصبحَ يميّزُ جنسيّةَ الشخصِ من ملامحِهِ.

ثمّ أضافَ بهدوءٍ: وهو ضدّ أعمالِ عائلتهِ.
ابتسمتُ بسخريةٍ خفيفةٍ: غريبٌ، تتحدّثُ وكأنّك شرطيٌّ، لا كيّانُ الذي يخافُه
الجميعُ.

ظلّ الغرام

اقتربتُ أكثر، ونظرتُ في عينيه: كلُّ ما أعرفُهُ عنكَ أنكَ بلا رحمةٍ، وتقيمُ
التجارةَ في السلاحِ والممنوعاتِ.

نظرَ إليها طويلاً ثمَّ قالَ بصوتٍ منخفضٍ: هناكِ حقائقٌ لا تعلمينها.
توقّفتُ أنفاسُها للحظةٍ: ماذا تقصدُ؟

أدارَ وجههُ قليلاً: لا شيءَ.

ثمَّ قالَ ببرودٍ مصطنعٍ: هيا لنعدْ إلى المنزلِ.

قالتُ بهدوءٍ: سأوصلُكَ ثمَّ أذهبُ إلى منزلي.

لم يعترضْ.

لكنَّ الصمتَ بينهما كانَ أثقلَ من أيِّ حديثٍ.

بعدَ ساعاتٍ... كانَ الجميعُ نائماً، مُرهقينَ من مهمّةٍ غيّرتِ الكثيرَ وكشفتُ أكثرَ.

في المساء... استيقظتُ ملاكٌ على صوتِ دخولِ ملكٍ.

قالتِ الأخيرةُ بنبرةٍ غامضةٍ: هناكِ شيءٌ في مكتبِكَ.

عقدتُ ملاكٌ حاجبيها: مكتبِي أنا؟ لا يوجدُ شيءٌ.

اقتربتُ ملكٌ وقالتُ: سأخبرُكَ بما حدثَ، بينما كنتِ مع كيانٍ.

قالتُ ملكٌ بصوتٍ منخفضٍ وكأنّها تعيدُ عيشَ اللحظةِ: عندما كنّا على

وشكِ الدُخولِ، كانتِ الخطّةُ أنْ نتسلَّلَ عبرَ البابِ المخفيِّ الذي أخبرتِ به

سيدهارتَ.

توقّفتُ لحظةً، ثمَّ أضافتُ: لكنَّ عندما وصلنا، كان هناكِ اشتباكٌ، لذا لم

نستطع استخدامهُ.

عقدتُ ملاكٌ حاجبيها: كيفَ ذلكَ؟

رفعتُ ملكٌ يدها قليلاً: لا تقاطعيني، سأخبرُكَ بكلِّ شيءٍ.

اقتربتُ من النَّافذةِ، ونظرتُ إلى الخارجِ ثمَّ تابعتُ: عندما وقفنا أمامَ البابِ

الرئيسيِّ الكبيرِ، كانَ عددُ الحرسِ قليلٌ، أغلبُهم كانوا منشغلينَ في الشارعِ الآخرِ

بسببِ الفوضى.

ظلّ الغرام

تنفّستُ بعمقٍ: وهنا بدأنا التّسلّل... إمّا نسحبُ أحدهم بهدوءٍ
وسيدهارتُ يتولّى أمره بسرعة، أو نُطلقُ النّارَ على من يعترضُ طريقنا.
نظرتُ إلى مَلَكٍ بثباتٍ: لم يستغرق الأمرُ أكثرَ من دقيقتين، ودخلنا.
ثمّ تغيّرَ صوتُها: لكنّ الصّدمة كانت في الدّاخلِ.
شعرنا فوراً أنّ هناك شيئاً غيرَ طبيعيٍّ.
المكانُ هادئٌ أكثرَ من اللازم، وكأنّه فخٌّ.
وأثناء بحثنا، وجدنا غرفةً في الأعلى قريبةً من السّقف، مكشوفةً
جزئياً، استخدمناها لنراقبَ.
توقّفتُ لحظةً ثمّ قالتُ ببطءٍ: وكان هناك الباشا.
اتّسعتُ عينا مَلَكٍ.
تابعتُ مَلِكُ: كان يجلسُ في المنتصفِ وحولَهُ رجالٌ في كلّ زاويةٍ،
لكنّ...
خفضتُ صوتها أكثرَ: لم يكن هو الأقوى في الغرفة.
كان هناك رجلٌ ضخّمٌ يرتدي قناعاً أسودَ، يمسكُ مسدّساً ويتحدّثُ
وكان الجميع تحت أمره.
غيّرتُ نبرةَ صوتها مقلّدةً الحوارَ: ماذا يا باشا؟ كلّ هذا الوقتِ ولم
تصلِ إلى هدفنا؟ هل كبرتَ على تنفيذِ المهمّاتِ؟
أجابَت بصوتِ الباشا، متوتّراً: لا، ليسَ كذلكَ يا سيّدي، أنتَ تعلمُ أنّ
أولادي قادرونَ على تنفيذِ ما أطلبُهُ برمشةِ عينٍ.
توقّفتُ مَلِكُ، ثمّ أكملتُ: فسألهُ الرّجلُ مباشرةً: جودُ؟
تجمّدتُ مَلَكُ.
قالتُ مَلِكُ: ارتبكَ الباشا بشكلٍ واضحٍ وقال: جود بعيدٌ عن هذا
العملِ، وتعلمُ أنّه خارجُ البلادِ.
ثمّ ردّ الرّجلُ ببرودٍ: لكنّه عادَ اليومَ.
همستُ مَلِكُ: وهنا تغيّرَ كلّ شيءٍ.

ظل الغرام

قال الباشا بصدمةٍ حقيقيّةٍ: هذا مستحيل، لم يصلني أيُّ خبر! سكتت الغرفة للحظةٍ، كما لو أنّ اسمَ جود أشعلَ خطرًا غيرَ متوقَّعٍ. نظرتُ ملكٌ إلى ملاكٍ مباشرةً: ملاكٌ، هناك شيءٌ كبيرٌ يحدثُ، جود ليسَ كما يبدو.

تابعتُ ملكٌ بصوتٍ خافتٍ، وكأنَّ الكلماتِ ما زالت تثقلُ صدرها: ثمَّ قال الرجلُ...

وتوقَّفتُ لحظةً، قبلَ أنْ تُكملَ بنبرةٍ أشدَّ: إن لم تتخلَّص من جودٍ في أقرب وقتٍ، ستنتهي حياتك. شهقتُ ملاكٌ بخفوتٍ.

أكملتُ ملكٌ، وهي تستحضرُ المشهدَ: تجمَّد الباشا للحظةٍ ثمَّ قال بصوتٍ لم أسمعهُ منه من قبلُ، وخفضتُ صوتها: لكنَّه ولدي. ساد صمتٌ ثقیلٌ، كأنَّ الهواءَ نفسهُ توقَّفَ، ثمَّ جاء الرَّدُّ باردًا، قاطعًا، بلا أيِّ ذرَّةٍ ترددٍ: لا يهمني.

ارتجفتُ يدُ ملكٍ قليلًا، وهي تُكملُ: ثمَّ استدارَ الرجلُ، وخرج. واتَّبعهُ الباشا فورًا كأنَّه فقدَ القدرةَ على الرِّفضِ. وبعدها.... بدأ الرجالُ بالخروجِ واحدًا تلو الآخر. الغرفةُ التي كانت ممتلئةً بالهيبةِ، أصبحت فجأةً فارغةً. نظرتُ إلى ملاكٍ بعينين متوترتين: لم نستطع رؤيةَ وجهه، لكن... توقَّفتُ، ثمَّ قالتُ ببطءٍ: صوتهُ، لم يكن صوتَ شخصٍ عاديٍّ. ساد صمتٌ بينهما، صمتٌ يحملُ سؤالًا واحدًا فقط: هل جود هو الهدفُ القادمُ؟ تابعتُ ملكٌ بصوتٍ مُتعبٍ: وبعدها وجدنا ملفَّاتٍ مهمَّةً. تنفَّستُ ببطءٍ: اتَّصلتُ بسيدهارت ليأتي، وأظنُّ أنَّه سيصلُ الآن. ضيَّقتُ ملاكٌ عينيها تراقبها بدقَّةٍ: أشعرُ أنَّ هناك شيئًا آخرَ، تكلمي، ماذا حدث؟ تردَّدتُ ملكٌ لحظةً، ثمَّ قالتُ: عليّ، جاء. رفعتُ ملاكٌ حاجبها: ثمَّ؟...

ظل الغرام

قالت بصوتٍ أخفض: كان يحاول أن يخفف عني، لكنه اقترب كثيراً.
توقفت، ثم أضافت: وفي تلك اللحظة... دخل سيدهارت، ورأنا معاً.
ابتسمت ملاك ابتسامة خفيفة وقالت بنبرة مازحة تخفي جدتها: هل كان عليّ يقبلك؟
نظرت إليها ملك بخجل وأجابت سريعاً: لا..
ثم أكملت: لكن، سيدهارت ضربه.
اقتربت ملاك منها أكثر، ونظرتهما أصبحت حادة وصادقة: كوني صريحةً معي هل تحبّين سيدهارت؟ أم
أنك تميلين إليّ عليّ؟

في الخارج....
كان سيدهارت قد وصل.
وقف خلف الباب وسمع السؤال.
تجمّد مكانه وقلبه بدأ يخفق بعنف.
في الداخل، أغمضت ملك عينيها لحظة ثم قالت بصوت مكسور: آه يا ملاك... لم أعرف معنى الحب
إلا معه.

ارتجف صوتها: لكنه لم يبادلني الشعور.
تنفّست بعمق وكأنّها تفرغ قلبها: لعله في يوم ما يدرك كم أحببته.
أطرقت ملاك برأسها ثم قالت بهدوءٍ دافئ: ربّما يعلم لكن الوقت ليس مناسباً.
رفعت عينيها إليها: وربّما الله يريد أن تتعبا قليلاً لتصلّا إلى بعضكما في النهاية بوقتٍ أفضل.
ابتسمت بخفة: ربّما يبعدكما الآن ليكون اللقاء أعظم.
همست ملك: لكنه لا يحبّني...

سألتهما ملاك بهدوءٍ: هل قال لك ذلك؟
هزّت رأسها: لا... لكنه قال أنني أخته الصغيرة.
في الخارج، انكسر شيءٌ بقلب سيدهارت.
بصمت...

داخل الغرفة، اقتربت ملاك واحتضنتها، وانفجرت ملك بالبكاء.
أمّا خلف الباب، فكان سيدهارت يقف وقلبه يبكي بصمت.
هي رفيقته سنواته، أقرب من الجميع، كان يخبرها بكل شيء إلا هذا.
لم يدرك يوماً أنّها كانت تحبّه.
طرق الباب أخيراً.
أيمكنني الدخول؟

مسحت ملك دموعها سريعاً: بالطبع، تفضّل.
دخل، وقعت عيناه مباشرةً على عينيها المحمّلتين بالبكاء.
لم يتردّد، بل تقدّم نحوها وضمّها فجأةً.
همس بالقرب من رأسها وقبلها برفق: لا تبكي، دموعك تؤلمني.

ظل الغرام

تجمّدت بين ذراعيه لكن قلبها امتلاً بشيءٍ كانت تنتظره طويلاً.
ابتعد قليلاً، ورفع يده ومسح دموعها بحنانٍ صادقٍ.
ابتسم لها ابتسامة خفيفة
ثم تراجع.

أدار وجهه بسرعة وتوجّه نحو الخزانة،
أخرج الملفات على عجل وكأنّه يهرب..
لم يكن يريد أن يضعف حتى بنظرة واحدة.
فتح سيدهارت الملفات ببطء، ثلاثة ملفات.
الصمت خيم على الغرفة وكأنّ الجميع يدرك أن ما بداخلها سيغيّر كل شيء.
الملف الأول... تقدّمت ملاك وسحبته، فتحت الصفحة الأولى
زهرة، صورٌ لاهل بأوضاع مختلفة... مرّة تحمل سلاحاً، مرّة وسط رجالٍ، مرّة تبتسم،
لكن في الصورة الأخيرة توقّفت يد ملاك!
علامة × حمراء على رأسها، وتحتها عبارة مكتوبة بخطّ حادّ: حان وقت موتك، لقد
علمت أكثر من اللازم.

ارتجفت أنفاسها وهمست بصدمة: أنا من حقّقت لهم هدفهم دون أن أعلم!
الملف الثاني كان أثقل وأكثر غموضاً، فتحه سيدهارت هذه المرّة،
صفحات كثيرة لكن معظمها فارغ.
ثلاث رسائل فقط، وسط فراغ مقصود.
الرسالة الأولى... خريطة كلمات، عالم الظلام، ومنها خطٌ يتجه إلى عائلة الباشا ومنها
سهم أحمر إلى عالم العنكبوت، ثم يعود الخط ليغلق الدائرة عند عالم الظلام.
قال سيدهارت بتركيز: حلقة مغلقة، شبكة تعمل داخل نفسها.
الرسالة الثانية، صورٌ، وجوه أشخاص، عملاء يساعدون في تهريب السلاح.
شبكة ممتدة أوسع ممّا توقّعوا.
الرسالة الثالثة..

توقّفت ملاك فجأة.. اسم واحد فقط هو كيان، وبجانبه خطٌ طويل متّصل بعالم الظلام.

ظل الغرام

تجمّدت، ارتجفت يداها، وصوتها خرج بالكاد: كيان...؟
رفعت عينيها بذهول: مَنْ هُمْ عالم الظلام، وما علاقة كيان بهم؟!
قال سيدهارت بجديّة: لا أعلم، لكن ركّزوا..
أعاد نظره إلى الملف: هذا ليس دليلاً كاملاً، هذا تلميح..
تصفح بقيّة الصفحات ثم توقّف..
هنا... مخطّط شركة، هيكل، توزيع، مسارات..
نظر إليهم: أشعر أننا سنصل إلى هذه الشركة من خلال كيان..
ساد صمت ثقيل..
الملف الثالث كان مختلفاً..
أبسط، لكن أكثر إرباكاً، صورة واحدة فقط، طفل وفتاة مع رجل وامرأة..
لكن... وجه الرجل ممزّق..
همست ملك: مَنْ هؤلاء؟
تجمّدت ملاك فجأة، ذكرى ضربت عقلها بقوة

ومضة من ذاكرتها..
عندما دخلت منزل كيان لأول مرّة رأت صورة، طفل وفتاة في الصّالة..
قالت يومها: مَنْ هؤلاء؟
ابتسم كيان بهدوء: أنا وأختي.. اسمها سالي، تدرس في أستراليا..
نظرت إلى الصّورة، شعر أشقر، عينا خضراوان تماماً كعينيّه.. تشابه واضح!
عودة للحاضر..
ارتجفت صوت ملاك: هذه الصّورة رأيتها من قبل..
رفعت عينيها ببطء: إنّها عائلة كيان..
الصّمت كان أثقل من أيّ ردّ.

قَطَعَ سيدهارت الصّمت بصوت هادي لكنّه حاد المعنى: كيان لا يتحدث عن عائلته أبداً..
أطرقت ملك رأسها تفكّر بعمق: ما العلاقة بين كيان وعائلته؟
رفعت ملاك رأسها فجأة وكأن فكرة صادمة ضربتها: هل يُعقل أنّه كان يستغلني؟

ظل الغرام

نظر إليها سيدهارت بشبات وقال بحكمة باردة: بل أنت من تستغلينته.
توقفت لحظة ثم أكملت: أنت الشرطيّة التي جاءت من بلد آخر بمهمّة، لا هو.
اشتعلت عينا ملاك غضبًا: ماذا تقصد؟!
احتدم التوتّر، وبدأ الجدل بينهما يشتعل
لكن...
_ اصمتا!
رفعت ملك صوتها لأول مرّة.
نظر إليها الاثنان بدهشة.
قالت بتركيز حادّ: كل شيء يشير إلى كيان.
ثم أضافت ببطء: لكن، ماذا لو كان يعلم كل شيء؟
صمتت لحظة: أو.. ماذا لو كان لا يعلم شيئًا وحياته الآن في خطر؟
تبادلوا النظرات.
قال سيدهارت بحزم: أنا أظن أنه يعلم كل شيء.
هزت ملاك رأسها بقوة: لا.
اقتربت خطوة وصوتها أصبح أكثر ثباتًا: كيان غامض ويخفي شيئًا، نعم.. لكنّه لا يعلم.
نظرت إليهما بثقة غير قابلة للكسر: أنا أثق بذلك.
مدت يدها فجأة وأمسكت هاتفها.
انصلت.
كيان: ما الأمر؟ لا يُعقل أنك اشتقت لي بهذه السرعة.
قالت بصوت مختلف ضعيف: كيان، أريدك بجانبني الآن.
تغيّرت نبرته فورًا: هل هناك شيء؟
همست: أنا حزينة، أرجوك تعال.
ثم أغلقت الخط.
نظرا إليها سيدهارت وملك بصدمة: لماذا فعلت ذلك؟!
أجابته بهدوء حاسم: ليأتي بسرعة.
في الجانب الآخر...
نهض كيان من سريره فورًا.
لم يفكر، لم يتردد.
ارتدئ بدلته السوداء بسرعة، التقط مفاتيحه واندفع خارجًا.
قاد سيارته بسرعة جنونيّة، والفكرة الوحيدة التي تدور في رأسه: ما الذي جعل ملاك تحزن؟
ضغط على المقود بقوة، وفي تلك اللحظة...
لم يكن هناك شيء أهمّ لديه من حزنها، حتّى العالم كله كان لا يساوي شيئًا أمامه.

ظل الغرام

توقفت سيارة كيان أمام المنزل بعنفٍ .
فتح الباب ونزل بخطواتٍ سريعةٍ تكادُ تتحوّلُ إلى ركضٍ .
لم يفكر، لم يتردد، كان كلُّ ما يشغله... ملاكُ .
فتحت الباب، وفي اللحظة التي رآها فيها، اندفع نحوها وأمسك يدها،
قبلَ خدّها بسرعةٍ وقلقٍ واضحٍ في عينيه: يا صغيرتي، ما بك؟ ما الذي
أحزنك؟

تجمّدتُ لثانيةٍ، ثمّ تذكّرتُ كلماتٍ سيدهارتُ: أنتِ من تستغلّينهُ .
انكسرتُ، انسابتُ دموعُها بهدوءٍ كحباتٍ ندى على خديها .
ثمّ ارتمتُ بين ذراعيه .
شدّها إليه فوراً دون سؤالٍ .
في الداخل، وقفَ سيدهارتُ ومَلِكُ ينظرانِ إليهما بدهشةٍ صامتةٍ، كأنّهما
لا يصدّقانِ ما يروْنهُ .
هل هذه هي نفسها التي كانت تريدُ قتلهُ يوماً؟
تنحنحَ سيدهارتُ: أهلاً يا كيانُ .
ابتعدَ كيانُ قليلاً لكنّه لم يتركْ يدها، ثمّ صافحَ سيدهارتُ، وبعدهُ ملكُ .
تغيّرتْ ملامحه بسرعةٍ .
عادَ القلقُ، لكن هذه المرّة ممزوجاً بالغضبِ: من الذي تسبّبَ في بكائها؟
شدّ على يده: أقسمُ سأجعلهُ يبكي دماً مقابلَ كلِّ دمعَةٍ .
قالَ سيدهارتُ بهدوءٍ محسوبٍ: ما رأيك أن نتحدّثَ في الداخلِ؟
دخلوا.. خطوةً، خطوتانٍ... وفجأةً توقفتُ ملاكُ .
نظرتُ إلى صدرِ كيان، نقطة حمراء.. اتّسعتْ عيناها .
لم تفكر، لم تتردد اندفعتُ نحوهُ ودفعتهُ أرضاً فسقطتُ فوقهُ .
انفجارُ رصاصٍ، الصّوتُ ملأ المكانَ.. تجمّدَ الزّمنُ .
فتحَ كيانُ عينيه بصدمةٍ ثمّ شعرَ بشيءٍ دافئٍ .
الدّماءُ تنتشرُ .

ظل الغرام

رفع يدهُ بسرعةٍ ووضَعَهَا على بطنِهِ، لكنْ... لم يكنْ هوَ.
كانتْ مَلَاكُ!
الدَّماءُ تنسابُ من جسدِهَا، تَلطُّخُ يديهِ وتغمرُ المكانَ.
همسَ بصوتٍ مرتجفٍ، لم يعرفهُ منْ قبلُ: م... ملاكُ...؟
كانتْ بينَ الوعي والغيابِ، لكنَّهَا ابتسمتْ.
ضَحَّتْ بنفسِهَا منْ أجلِهِ، وهيَ لم تكنْ قدِ اعترفتْ لنفسِهَا بعد... أنَّهَا تحبُّهُ.
في اللَّحظةِ الَّتِي سقطتْ فيها ملاكُ، تحوَّلَ كيَانُ.
لم يعدْ ذاكَ الرَّجلَ الهادئَ، بل أصبحَ عاصفَةً.
سحبَ مسدَّسَهُ منْ خصرِهِ وبدأَ يطلقُ النَّارَ بجنونٍ.
كلُّ رصاصةٍ كانتْ تصيبُ هدفَهَا.
لا رحمةً، لا تردَدَ.
انضمَّ إليهِ سيدهارتُ يتحرَّكُ بدقَّةٍ، يحمي المكانَ ويغلقُ أيَّ منفذٍ.
أما ملكُ، فركضتْ بسرعةٍ نحوَ الأسلحةِ في الصَّالةِ.
صرخَ كيَانُ: أعطِني الرِّشَّاشَ!
رمته إليه فورًا.
أمسكهُ بيدٍ ثابتةٍ، لكنَّ عينيهِ كانتا مشتعلتينِ.
قالَ بسرعةٍ: سأخرجُ وأنهيهم.. ملكُ، ابقِ معَ ملاكُ، سيدهارتُ احمهما.
أجابتْ بثباتٍ رغمَ خوفِهَا: لا تقلقوا، أنا هنا.
تفرَّقوا
وفي الخارجِ... كانَ الرِّصاصُ كالْمَطَرِ، وخلالَ دقائقٍ انتهتْ كلُّ شيءٍ.
الجثثُ في كلِّ مكانٍ، والصَّمتُ عادَ أثقلَ منَ السَّابقِ.
ركضَ سيدهارتُ لإحضارِ السَّيَّارةِ، أما كيَانُ، فأنحنى وحملَ ملاكَ بينَ ذراعيهِ.
كانتْ ساكنةً، جميلةً كأنَّهَا نائمةٌ.

ظل الغرام

لكنّ الدّماء كانت تنساب منها كالنّهر.
ارتجفت يده، حاول أن يتمالك نفسه، لكنّ عينيه خانتاه.
همس بصوتٍ مكسورٍ: لا، لا تترکيني...
بعد وقتٍ، خارج غرفة العمليّات، الصّمت قاتلٌ.
كانت ملكٌ تبكي بصمتٍ موجع.
سيدهارتُ واقفٌ كأثّه لم يستوعب بعد.
أما كيّان، فكان جالسًا على ركبتيه.
رأسه منخفضٌ وكتفاه يهتزّان.
يبكي كطفلٍ فقد كلّ شيءٍ ويهمس بخفوتٍ: بسببي.. هي هنا بسببي أنا.
وصل عليّ مسرعًا: ماذا حدث؟!
ارتمت ملكٌ بين ذراعيه تبكي بحرقةٍ.
حاول تهدئتها، لكنّ عينيه اتّجهتا نحو كيّان.
تجمّد، ثمّ اقترب منه بسرعةٍ، وضّمه بقوةٍ.
بدأت دموعه تنزلُ هو الآخر، ليس فقط لأجل ملاك، بل لأثّه يرى صديقه
ينهار، كأنّهما قلبٌ واحدٌ.
فُتح بابُ غرفة العمليّات، خرج الطّبيب: نحتاج دماءً، هل يوجد من يطابق
زمرتها؟
وقف كيّان فورًا: أنا.
قالت ملكٌ وعليّ معًا: ونحن أيضًا.
تقدّموا دون تردّدٍ.
بعد وقتٍ، خرج الطّبيب مرّةً أخرى.
ركضوا نحوه جميعًا: كيف حالها؟!
خفض الطّبيب نظره، تجمّد كيّان ثمّ أمسكه بعنفٍ: تكلم، أجب!
ارتبك الطّبيب، لم تخرج الكلمات من فمه، وذلك أشعل جنون كيّان أكثر.
أبعده سيدهارتُ عنه بصعوبةٍ.

ظل الغرام

قال الطبيب أخيراً: اهدأ، فعلنا كل ما بوسعنا، الباقي على الله.
أنفاسهم توقفت.
أكمل: هي الآن في غيبوبة، ولا نعلم متى ستستيقظ، حالتها حرجة جداً.
انهار كل شيء.
بكت ملك، أغمض سيدهارت عينيه بألم.
أما كيان، فلم يتحرك.
كان ينظر إلى الفراغ وصوت واحد فقط يتردد داخله: ضحّت بنفسها من
أجلي.
همس بصوت مكسور: لا أستطيع خسارتها.

بعد مدة من الزمن، كان الصمت يخيم على المكان، لكن هذه المرة لم يكن
صمت صدمة، بل صمت ما قبل العاصفة.
قال علي وهو ينظر في الأوراق: بعد التفتيش ومراجعة كاميرات المراقبة..
رفع عينيه بجديّة: الذين هاجمونا كانوا تابعين لعائلة العنكبوت.
شدّ كيان على قبضته، بينما أطرق سيدهارت رأسه وكأن فكرة خطيرة
تشكّلت في ذهنه.

ثم قال فجأة: يجب أن نحمي جود الباشا.
رفع كيان وعلي رأسيهما بصدمة: ماذا؟! ولماذا؟
أجاب سيدهارت بنبرة حاسمة: وصلتنا معلومات..
توقّف للحظة: إن والد جود سيحاول قتله.
ساد صمت ثقيل.
أكمل: وإن لم يفعلها هو..
نظر إليهما مباشرة: فسيقتل علي يد غيره.
قالت ملك وهي تربط الخيوط: وغير ذلك، هناك سر وراء عودة جود.
أخرج سيدهارت صورة من الملف ومدّها نحو كيان.

ظل الغرام

ما إن وقعت عينا كيانٍ عليها حتّى تغيّر كلُّ شيءٍ.
اتّسعت عيناهُ، تقدّم خطوةً بعنفٍ وأمسك سيدهارتُ من ياقه قميصه: هذه
الصّورة لماذا هي معك؟! أجبني!
حاول سيدهارتُ التّملّص: وجدناها ضمنَ الملفاتِ.
قال كيانٌ وعليّ معًا: أيُّ ملفاتٍ؟!
أسرعت ملك وأحضرتِ الملفاتِ.
فتحها كيانٌ وبدأ يقرأ، ومع كلِّ صفحةٍ كانت ملامحه تتغيّر حتّى وصل إلى
الحقيقة.

أغلق الملفّ فجأةً، وأخرج هاتفه واتّصل...
سالي (بصوتٍ مفعم بالفرح): أهلاً أخي! اشتقتُ إليك كثيرًا!
قال بسرعةٍ دون مقدّماتٍ: طائرُك ستصلُ خلال ساعةٍ.
جهّزي نفسك، ولا تفتحي البابَ لأيّ أحدٍ.
سيصلُ رجالٌ خلال عشرين ثانيةً.
تغيّر صوتُها: كيانُ، هل هناك شيءٌ؟
أجاب ببرودٍ يخفي عاصفةً داخله: لا تشغلي بالك، لا تخافي.
ثمّ أغلق الخطّ.
نظرَ إليه عليّ باستغرابٍ: ما علاقةُ سالي؟ ولماذا تأتي؟
أجاب كيانٌ بنبرةٍ حاسمةٍ لا تقبلُ النقاشَ: عندما تصلُ ستكونُ بأمانٍ.
ثمّ رفعَ نظره إليهم جميعًا: وملاكٌ...
توقّف، وكأنّ اسمها أثقلُ من أيّ كلمةٍ.
يجبُ أن تُنقلَ إلى منزلي، غرفةٌ خاصّةٌ تحتَ حمايتي.
أكمل بسرعةٍ: سيدهارتُ، عليّ، ملكُ.
ستبقون جميعًا هناك.
تبادلوا النظراتِ.
قال عليّ: وجود؟!

ظل الغرام

أجاب كيأن ببرودٍ خطيرٍ: سيكونُ معنا.

لماذا؟

نظر إليهم وعيناهُ تحملاً شيناً جديداً، قراراً لا رجعة فيه.

لأن الجميع... أصبحوا أهدافاً.

ثم أنهى حديثه بجملة واحدة: وسأبقيهم جميعاً بأمان.

كان الجميع مجتمعين في منزل كيأن، والحراسة مشددة في كل زاوية، ورجالٌ

ينتشرون بصمتٍ، والتوتر يملأ المكان.

جلست ملك قرب ملك تنظر إليها بحزن عميق، بينما كان سيدهارت إلى

جانبها يحاول تهدئتها بكلمات خافتة لا تكاد تُسمع.

في الجهة الأخرى، كان علي يراقب المشهد بصمتٍ، لكن عينيه كانتا

مشتعلتين.

الغيرة كانت واضحة تأكل داخله ببطء.

أما جود وكيأن، فكانا غارقين في نقاش جانبي، نبرته منخفضة لكن

ملاصحة جادة.

وفجأة فتح الباب، دخلت فتاة... شعر أشقر ينسدل بنعومة، وعينان

خضراوان تحملان نفس العمق ونفس الحدة.. عينا كيأن تماماً!

انتبه كيأن وقال: ما بك يا جود؟ أين شارد؟

لكن كلماته توقفت حين التفّت ورآها، اتسعت عيناه ثم ركض نحوها دون

تفكير.

ركضت نحوها هي الأخرى والتقت به في عناق قوي، امتزجت فيه الفرحة

بالشوق، وبشيء من العتب ضمها بقوة وكأنه يعانق جزءاً من روحه.

قالت بصوت ممتليّ بالمشاعر: اشتقت إليك كثيراً.

ظل الغرام

ابتعدت قليلاً تنظرُ إليه بعينين لامعتين: هكذا تتركني كلَّ هذه المدة؟
أليسَ لديك قلبٌ؟

ابتسمَ ومسحَ على شعرها بحنانٍ واضح: ابنتي الجميلة، وأنا أيضاً
اشتقتُ لكِ يا قرّةَ عيني وحبّبةَ فؤادي.
بعدَ العناقِ وبعضِ كلماتِ العتبِ الخفيفة، تقدّمتُ نحوَ البقيّة.
تعرّفتُ عليهم واسمُها تردّدَ بينهم: سالي.
كانَ الشّبهُ بينها وبينَ كيّانٍ لافتاً، ملامحُ متطابقةٍ تقريباً لكنْ بنعومةٍ
أنثويّةٍ، وشعرٌ أشقرٌ يميّزُها.

تقدّمَ جودٌ ومدَّ يده بابتسامةٍ: تشرّفتُ بمعرفتكِ.
صافحتهُ بثقةٍ: وأنا أيضاً يا جودُ.

تدخّلَ كيّانٌ بنبرةٍ خفيفةٍ فيها شيءٌ من الجدّيّة: قولي أخي.
نظرتُ إليه سالي نظرةً سريعةً،
تحملُ رفضاً واضحاً دون أن تنطقَ.
تدخّلَ جودٌ بهدوءٍ: دعها كما تحبُّ.

نظرَ إليه كيّانٌ ثمَّ ابتسمَ ابتسامةً خفيفةً، لكنَّ عينيه كانتا تراقبانِ
المشهدَ بدقّةٍ.

وقفتُ سالي عندَ بابِ الغرفةِ، وبجانِبها كيّانٌ بصمتٍ ثَقيلٍ.
دفعتُ البابَ برفقٍ ودخلتُ.

كانتُ مَلاكٌ مستلقيةً، ساكنةً، هادئةً كأنّها ليستُ في غيبوبةٍ، بل في نومٍ
عميقٍ لا يريدُ أن ينتهي.

اقتربتُ سالي ببطءٍ وجلستُ قربها، تأملتُ ملامحها طويلاً
وجهٌ ناعمٌ، هادئٌ وجميلٌ بطريقتِهِ تُشبهُ السّكينةَ.
همستُ بحزنٍ: يا للأسفِ.

ثمَّ رفعتُ عينيها نحوَ كيّانٍ: لماذا هي هذه الحالةُ؟
تردّدتُ لحظةً لتضيف: من هي يا أخي؟

ظل الغرام

جلسَ كيانٌ وكأنَّ التَّعبَ سقطَ عليه فجأةً.
قالَ بصوتٍ منخفضٍ: ضحَّتْ بنفسِها من أجلي.
عقدتُ سالي حاجبيها: لكن... مَنْ تكونُ؟
رفعَ عينيه نحوها، وكانَ الحزنُ فيهما أعمقَ من الكلماتِ.
ثمَّ قالَ بصوتٍ يشبهُ الاعترافَ: هيَ ليستُ فتاةً فحسب، هيَ غصنُ زيتونٍ عتيقٍ، وعشُّ حمامٍ رقيقٍ، هيَ بسمَةُ الطُّفولةِ ودَفءُ الرَّفيقِ... لحنٌ عتيقٌ وآيةٌ من نورٍ، هيَ سكونٌ في قلبِ الفوضى، وضوءٌ شمعةٍ في عتمةِ الطريقِ.
توقَّفَ لحظةً ونظرَ إلى ملاكٍ، ثمَّ همسَ: هيَ ملاكي.
التفتتُ إليه سالي ببطءٍ، ودققتُ في ملامحِهِ: أخي... هل أنتَ تحبُّها؟
ابتسمَ ابتسامةً حزينةً وقالَ: أحبُّها لدرجةٍ أنِّي أخافُ عليها من نفسي، أقدِّسُ ملامحَهَا، حتَّى حزنُها يؤلمُنِي.
انخفضَ صوتهُ أكثرَ: أريدُها أن تصحو، ولا أريدُ لأيٍّ أذىً أن يقتربَ منها، ولو نظرَ إليها أحدٌ بسوءٍ سأكونُ لها حمايةً لا تُؤذي، بل تحمي.
أغمضَ عينيه لحظةً وأكملَ: سأخفي عنها كلَّ ما قد يُحزنُها، وأكونُ سلامًا.

فتحَ عينيه، وصوتهُ انكسرَ: كلُّ ما أريدُهُ أن تصحو فقط.
همسَ أخيرًا وكأنَّه ينهارُ: واللهِ إنِّي أقطِّعُ عليها.
اقتربتُ سالي وربَّتتُ على كتفه برفقٍ: ستصحو بإذنِ الله.
ابتسمتُ له بخفَّةٍ: هيَّا لننزلَ، يجبُ أن تأكلَ.
نظرَ إلى ملاكٍ مرَّةً أخيرةً وكأنَّه يتركُ قلبه هناك، ثمَّ نهَضَ.

بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ.. كانَ الهدوءُ يُخيِّمُ على المنزلِ. هدوءٌ ثقيلٌ كأنَّ الجميعَ ينتظرُ شيئًا لا يعرفُ متى سيحدثُ.
فجأةً... صوتٌ من غرفةِ ملاكٍ.
تجمَّدَ الجميعُ لثانيةٍ، ثمَّ اندفعوا دفعةً واحدةً نحو البابِ.

ظل الغرام

فُتِحَ البابُ، وتوقَّفَ الزَّمنُ.
كانتُ مَلَاكُ واقفةً.

تنزعُ إبرةَ المَصَل من يديها ببطءٍ، وعيناها تائهتان.
خطتُ خطوةً، لكنَّ جسدها اختلَّ، وقبلَ أن تسقطَ، كانَ كيَانٌ قد وصلَ
إليها، أمسَّكها بينَ ذراعيه فوراً، رفعتُ رأسها نحوه ونظرتُ إليه بغرابةٍ.

قالتُ بصوتٍ ضعيفٍ: مَنْ أَنْتَ؟

الصَّمْتُ ضربَ المكانَ كالصَّاعقةِ.

تبادلَ الجميعُ النظراتِ غيرَ مُصدِّقينَ.

نظرتُ إليهم جميعاً: ومن أنتم؟

تقدَّم سيدة هارتُ خطوةً، وقلبه يخفقُ بعنفٍ: أنا سيدة هارتُ.

توقَّفَ ثمَّ قالَ برجاء: ألا تتذكَّرينني؟

هزَّتُ رأسها ببطءٍ: لا.

دخلَ الطَّبيبُ مسرعاً: هل تتذكَّرين اسمكِ؟

أجابتُ دونَ تردُّدٍ: أنا مَلَاكُ.

سألها: في أيِّ عامٍ نحنُ؟

قالت: 2023

أصيبوا جميعاً بالدَّهْشَةِ

ثمَّ بدأتُ كلماتُها تتسارعُ، كأنَّها تمسكُ بآخرِ خيطٍ من ذاكرتها: كنتُ
أتمشَّى مع آيسل، وأشتري لها الحلوى، والدي ووالدتي وآسر ينتظروننا في
المنزل.

اتَّسعتْ عيناها بخوفٍ: أين آيسل؟! هل حدثَ لها شيءٌ؟! وأين أنا؟؟ من
أنتم؟!

تقدَّم الطَّبيبُ بسرعةٍ، وحقنَها بالمُهْدِئِ.

خَفَّتْ صوتُها تدريجياً، حتَّى سقطتُ في نومٍ عميقٍ، وسادَ الصَّمْتُ.

قالَ الطَّبيبُ بجديَّةٍ: فقدتُ ذاكرتها... آخرَ ثلاثِ سنواتٍ

تجمّد الجميع، في داخل سيدهارت، كان الانهيارُ أعمقَ من أن يُرى.
كلُّ شيءٍ ضاع.. خمسُ سنواتٍ من العملِ!
ملاكٌ... أنتِ المفتاحُ.
همسَ في داخلِهِ: أرجوكِ استعيدي ذاكرتكِ.
قالتِ مَلِكُ بصوتٍ مكسورٍ: ستعودُ إلى سويسرا، إلى عائلتها.
رفعَ كيانُ رأسَهُ فوراً، وعيناهُ مُظلمَتانِ: حياتُها في خطرٍ.
وقفَ بثباتٍ وكأنّه اتخذَ قرارَهُ: عائلتها ستأتي إلى هنا، سيقيمونَ في
المنزلِ المقابلِ. وسأراقبهم دونَ أن يعلموا.
توقّفَ لحظةً ثمّ قالَ بصوتٍ منخفضٍ، لكنّه يحملُ وعداً: لن أسمحَ أن
يُصيبهم شيءٌ.
قالَ سيدهارت: سأواصلُ معَ جهةٍ من هناك، سيأتونَ للمساعدةِ في
استعادةِ ذاكرتها.
نظرَ إليه كيانٌ مباشرةً: حمايتهم مسؤوليتكِ.
أمسكَ سيدهارتُ هاتفه واتّصلَ: كيفَ الحالُ سيّدي؟
نعم، استيقظتُ.
توقّفَ ثمّ قالَ بجديّةٍ: لكنّها لا تتذكّرُ شيئاً.
نحتاجُ عائلتها هنا، غداً صباحاً.
نعم سيّدي... حاضرٌ.
أغلقَ الهاتفَ ببطءٍ.
وفي الغرفةِ، كانتِ مَلَكُ نائمةً بسلامٍ زائفٍ.
بينما العالمُ من حولها، بدأَ ينهارُ من جديدٍ.

ظل الغرام

فَتَحْتُ مَلَاكُ عَيْنَيْهَا بِبَطءٍ، كَانَتْ تَقْفُ وَسَطَ قَصْرِ فَخْمٍ، يَغْمُرُهَا ضَوْءٌ
دَافِيٌّ، وَكَأَنَّ الْمَكَانَ مَأْلُوفٌ رَغَمَ غَرَابَتِهِ.
نَظَرْتُ حَوْلَهَا، كَانَتْ مَلِكٌ تَقْفُ بِجَانِبِهَا، وَإِلَى جَانِبِهَا فَتَاةٌ تُشَبِّهُ كِيَانَ
بَشَكْلٍ وَاضِحٍ.
قَالَتْ مَلَاكُ بَابِتْسَامَةٍ هَادِيَةٍ: أَتَعْلَمُونَ؟.. رَغَمَ أَنَّي لَا أَعْرِفُكُمْ جَيِّدًا،
لَكِنِّي أَحْبَبْتُكُمْ.
ابْتَسَمْتُ مَلِكٌ: قَضَيْنَا أَشْهَرًا مَعًا.
ثُمَّ أَشَارَتْ إِلَى الْفَتَاةِ: وَهَذِهِ سَالِي، أُخْتُ كِيَانَ.
رَفَعْتُ مَلَاكُ نَظَرَهَا: كِيَانَ صَاحِبُ الْعَيْنَيْنِ الْخَضِرَاوَيْنِ.
ضَحِكْتُ سَالِي بِخِفَّةٍ: نَعَمْ أَخِي، أَلَا يَشَبِّهُنِي؟ تَأَمَّلْتُهَا مَلَاكُ، ثُمَّ غَمَزَتْ
بِلُطْفٍ: يَشَبِّهُكَ كَثِيرًا، لَكِنَّكَ أَجْمَلُ.
ضَحِكْتُ سَالِي، ثُمَّ اقْتَرَبَتْ قَلِيلًا، وَحَدَّقَتْ فِي رَقَبَتِهَا: مَلَاكُ... مَا هَذِهِ
الْعَلَامَةُ؟
أَشَارَتْ إِلَى رَقَبَتِهَا: هَلْ هِيَ وَحْمَةٌ؟
قَبْلَ أَنْ تَجِيبَ، انْفَتَحَ الْبَابُ فَجَاءَ.
دَخَلَتْ فَتَاةٌ شَقْرَاءُ بِعَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ، وَشَعْرٌ طَوِيلٌ مَمُوجٌ، تَرَكَضُ نَحْوَهَا
بِحِمَاسٍ: مَلَاكُ... مَلَاكُ!
ارْتَمَتْ فِي حُضْنِهَا: اشْتَقْتُ لَكَ!
ابْتَسَمْتُ مَلَاكُ، وَضَمَّتْهَا بِحَنَانٍ عَمِيقٍ، وَكَأَنَّ قَلْبَهَا يَعْرِفُهَا مُنْذُ زَمَنٍ.
ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا، لِتَجِدَ شَابًّا يَقْفُ خَلْفَهَا، يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِشَوْقٍ وَاضِحٍ.
اقْتَرَبْتُ مِنْهُ، وَاحْتَضَنْتُهُ: أَخِي الْعَزِيزُ، اشْتَقْتُ لَكَ.
انْزَلَقَ مِنْ عُنُقِهَا سِلْسَالٌ صَغِيرٌ، نُقِشَ عَلَيْهِ اسْمُهَا، رَفِيقُهَا مُنْذُ الطُّفُولَةِ،
ثُمَّ رَكَضَتْ نَحْوَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، احْتَضَنْتُهُمَا بِقُوَّةٍ وَكَأَنَّهَا لَمْ تَرَهُمَا مُنْذُ
سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ.
جَلَسُوا مَعًا... ضَحِكَاتٍ، أَحَادِيثُ، دِفْءٌ.

ظل الغرام

قال والدُها ليثٍ بابتسامةٍ حنونةٍ: المنزل مُملٌ بدونكِ يا ابنتي الجميلةُ.
قاطعتهم ملكٌ فجأةً: خالتي، ما اسمكِ؟
أجابت المرأةُ برقةٍ: أكاجيم.

نظرت ملكٌ وسالي إلى بعضهما بدهشةٍ: اسمٌ غريبٌ، ماذا يعني؟
ضحكت بهدوءٍ: لا معنى له...
ثم تابعت: لكنّ والدي رأى حلمًا ناديتُهُ فيه، وعندما سألتني عن اسمي
قلتُ له: أكاجيم.

كنتُ في الحلمِ شقراءَ، وعيناي زرقاوان، وعندما وُلدتُ، سمّاني بذلك
الاسم؛ لأنني أتيتُ هكذا.

ساد صمتٌ خفيفٌ، ثمّ قالت سالي بعفويةٍ: الغريبُ أنكم جميعًا
متشابهون، شعرُكم أشقرٌ، وعيونُكم ملونةٌ.

نظرتُ إلى ملاك: إلا أنتِ، لا تُشبهينهم
ثمّ ابتسمتُ وقالت: كأنكِ لستِ ابنتهم الحقيقية.
ضحك الجميعُ...

إلا والد ملاك، تغيّرت ملامحُه فجأةً، غضبٌ حادٌ غير مبرّرٍ.
وفي تلك اللحظة كانَ كيانٌ قد وصلَ، وقفَ عند المدخلِ دونَ أن ينتبه له
أحدٌ.

لكنّه انتبه.. نظرَ إلى رقبة ملاك... الوحمةُ.

وفجأةً، ارتبطت الصورةُ في ذهنه.

الملفُ الثالثُ.. الصورةُ الممزقةُ، الطفلُ، الفتاةُ، والعلامةُ نفسها.

تجمّد مكانه، هل يُعقل؟

لكن... انقطع تفكيرُه.

صوتٌ آيسل عاد يعلو في المكان، مُمتلئًا بالحياة، وكأنّه يُخفي خلفه
حقيقةً مُرعبةً لم تُكشف بعد.

ظل الغرام

في الوقت الذي كانت الخيوط تتشابك حول الجميع، لم يعد كيان قادرًا على تجاهل ذلك الشعور الثقيل الذي ينهش ذهنه بصمت. شيء ما في ملاك لا يشبه الصدفة، ولا ينتمي لأي مهمة عرفها من قبل. أصدر أمرًا خفيًا بجمع كل بياناتها من أرشيف المستشفى: سجل الولادة، التوقيت، التفاصيل الدقيقة التي لا يلتفت إليها أحد. لكن بالنسبة له، كانت هذه التفاصيل تفصل بين حقيقة ضائعة ووهم قاتل.

وفي مكان آخر...

لم تكن الجهة المقابلة أقل ظلامًا. كانت الخطّة جاهزة منذ أيام: "تصفية ملاك داخل المركز التجاري". حادثة عابرة في الظاهر، لكنها محكمة حتى آخر نفس. إلا أن صاحب القرار لم يكتف بالمراقبة من بعيد.. كان يريد أن يرى بنفسه، أن يلتقط اللحظة التي ينكسر فيها كيان حين يخسرها أمام عينيه. دخل الرجل المركز التجاري بهدوء لا يشبهه، ملامحه ثابتة، ونظراته باردة، كأن المكان لا يعنيه، بينما الحقيقة أنه يبحث عن كل شيء فيه. كان اسمه "ضرغام الباشا".

رجل لا يرفع صوته؛ لأن حضوره وحده يكفي لإسكات الجميع. لمحها.. في البداية كانت مجرد حركة وسط الزحام، ثم تحولت إلى ملامح، ثم أصبحت هي. كانت مع كيان والبقية، تضحك بخفة كأنها لا تنتمي لهذا العالم المظلم. ضحكة قصيرة لكنها أربكته أكثر مما ينبغي. انتظر اللحظة المناسبة..

انشغل الجميع، تفرقوا بين الممرات، وبقيت هي لثوانٍ وحدها. اقترب منها بخطوات محسوبة بلا استعجال، وكأنه يملك الوقت كله. قال بصوت هادي: هل تسمحين لي بالجلوس؟

ظل الغرام

رفعت نظرها إليه، تأملته لحظة ثم أجابت بأدب: تفضل.
جلس، كان يقرأها كأنه يبحث في ملامحها عن إجابة، يعرف أنه لن
يعترف أنه ينتظرها.

وقع بصره على عقدها.

قطعة صغيرة أنيقة، نقش دقيق يحمل اسمها "ملك"
توقف داخله الزمن لثانية.. ذلك الاسم لم يكن جديدًا عليه، بل كان
يشبه صدي بعيدًا دفنه منذ سنوات.

اقترب قليلاً وقال بهدوء مصطنع: انتظري.. هناك حشرة قرب عنقك.
مالت برأسها بخفة، تبحث بعينيها، وفي تلك اللحظة، انزاح العقد قليلاً،
وانكشفت العلامة.. فراولة صغيرة على جلدِها.

تجمد ضرغام الباشا، لم تتحرك ملامحه، لكن داخله انفجر بصمت
عنيف.

هذه العلامة لم تكن مجرد ذكرى، بل كانت شيئاً استحال نسيائه يوماً.
ارتجفت يداه دون إرادة، وانقطع تنفسه للحظة، كأن الزمن انقلب به إلى
غرفة مغلقة، ظن أنه دفنها للأبد.

اقترب منها دون وعي وضمها إليه فجأة.

تصلبت، ثم دفعته بسرعة، وعيناها تمتلئان بالرغبة والصدمة: ماذا
تفعل؟!

لكنه لم يجب.

لم يكن يملك كلمات جاهزة لشيء كهذا، كل ما كان يملكه يقين واحد
فقط.

ابتسم ابتسامة مكسورة من الداخل، لكنها حيّة بشكل مؤلم.
ثم نهض ببطء.

حدق فيها طويلاً... كأنه لا يراها لأول مرة، بل يحاول استعادتها.
ثم قال بصوت منخفض: الغوا العملية.

ظلّ الغرام

اعترضَ أحدُ رجالِه: سيدي؟ الهدف...
قاطعَهُم ببرودٍ حاسم: انتهى.
ثم استدارَ وغادرَ.
لكنَّ الحقيقةَ التي لم يقلها، أنَّه لم يبلغِ العمليةَ لأنَّ اصطِيادَ الهدفِ
فشلَ،
بل لأنَّه أدركَ فجأةً أنَّ الهدفَ لم يكنَ عدوًّا، بل كانَ شيئًا فقدَهُ منذُ زمنٍ
وعادَ الآنَ دونَ إنذارٍ.
اندفعَ كيانه نحوها بخطواتٍ سريعةٍ، وعيناهُ تشتعلانِ بقلقٍ لم يحاول
حتَّى إخفاءَهُ.
أمسكَ ذراعها برفقٍ امتزجَ بالتوترِ وقالَ بصوتٍ حادٍّ: ماذا كانَ يفعلُ معكِ؟
ولماذا كنتِ تجلسينَ معه؟ ولماذا ضمَّكِ؟
رفعتُ ملاكُ حاجبيها، ثمَّ ارتسمتُ على شفثيها ابتسامةً خفيفةً، ظنَّتُ
لوهلةٍ أنَّه يغارُ.
قالتُ بمشاكسةٍ: وهل يغارُ سيّدُ الظلامِ؟
لكنَّ ملامحَهُ لم تلتنَ، إذ قالَ: لستُ أغارُ.
توقَّفَ لحظةً ثمَّ أَرَدَفَ بنبرةٍ جادَّةٍ: ذلكَ الرَّجلُ هوَ ضرغامُ الباشا، الرَّجلُ
الَّذي تقفُ خلفَهُ نصفُ الحقائقِ التي نحاولُ كشفها. وجودُهُ قُربَكَ ليسَ
صدفةً، ماذا كانَ يريدُ منك؟
اختفتِ ابتسامتُها فورًا، تجمَّدتِ مكانها، وعادَ إلى ذهنِها المشهدُ كاملاً،
لماذا ضمَّها؟ وماذا كانَ يقصدُ بتلكَ النظرة؟ لم يمنحها كيانهُ وقتاً أطولَ
للتفكيرِ.
أمسكَ يدها واتَّصلَ بالجميعِ طالباً منهمُ الاجتماعَ في الخارجِ.
وبعدَ دقائقَ، وقفَ أمامَهُم بملامحٍ صارمةٍ، يوزعُ التَّعليماتِ بسرعةٍ وحزمٍ:
عليَّ وملاكُ تذهبانِ معاً، سالي معَ سيدهارتِ..
ثمَّ نظرَ إلى ملاكٍ: وأنتِ معي.

ظَلَّ الغرام

تابع بنبرة لا تقبلُ النقاش: كلُّ واحدٍ منكم يسلكُ طريقًا مختلفًا، احموا
أنفسكم جيّدًا.

سألَ عليّ بقلبي: لماذا؟

أجابته ملاكُ هذه المرّة، وصوتها يحملُ ثقلَ ما رأت: كانَ ضرغامُ هنا.
تبادلَ الجميعُ النظرات. تمتَمَ عليّ بقلبي قاتم: إذا، لقد اقتربَ الموتُ.
بعدَ نصفِ ساعةٍ، كانَ الجميعُ قد وصلوا سالمينَ إلى منزلِ ملاكٍ، لكنَّ
القلقَ لم يغادرِ المكانَ، كانَ كيَانُ يسيرُ ذهابًا وإيابًا، وكأنَّ التفكيرَ ينهشُهُ
من الدّاخل.

توقّفَ فجأةً وقال: سأغادرُ قليلًا، عليّ أوصِلَ ملكَ معكَ، سيدهارتُ
سبقنا.

وما إنْ أنهى كلامه حتّى رنَّ هاتفُ ملاكٍ، أجابت فورًا: نعم سيّدي نعم
سأكونُ هناكَ حالًا.

أغلقتِ الهاتفَ وغادرتُ بسرعةٍ، وعندما وصلتُ إلى المكانِ المحدّد، كانَ
رجلٌ^{٥٥} في الأربعينَ من عمره يقفُ بوقارٍ وهيبةٍ واضحةٍ.
قالت باحترام: سيّدي..

التفتَ إليها مبتسمًا ابتسامةً مقتضبةً: أهلاً يا ملاكُ.
جلستُ أمامه ولاحظتُ منْ نظراتِهِ أنَّ الأمرَ ليسَ عاديًا.
قال مباشرةً: جئتُ منْ بلدٍ إلى آخرَ لأطمئنَّ عليكِ، لكنَّ هذا ليسَ السَّببُ
الوحيدَ.

تصلّبتُ ملامحها، فقال: الأمرُ يتعلّقُ بعالمِ الظّلامِ وكيانِ.
عقدتُ حاجبيها: لا أعرفُ شيئًا بعدُ، لم تتحَ لي الفرصةُ لفهمِ كلِّ ما
يجري.

أخرجَ ملفًا سميكًا ووضعهُ أمامها، كيَانُ أحدُ أركانِ هذه السّلسلةِ
الإجراميّةِ: تجارةُ أسلحةٍ، ممنوعاتٌ، وعمليّاتٌ لا تُحصى.
هزّتُ رأسها بعدمِ تصديقٍ: لا هذا مستحيل، كيَانُ ليسَ كذلكَ.

ظل الغرام

فتح الملف، وبدأ يعرضُ عليها الصُّورَ والتَّقاريرَ.
جريمةٌ هنا، صَفقةٌ هناك، ثمَّ صورةٌ أخرى، تجمَّدتْ... ضوءُ القمرِ،
رفعتُ رأسها بصدمةٍ: لكنَّهُ هوَ مَنْ أنقذها!
نظرَ إليها الضَّابطُ ببرودٍ: بلْ هوَ مَنْ اختطفها منذُ أشهرٍ.
شعرتُ وكأنَّ الأرضَ تميدُ تحتها، ثمَّ همستُ بغضبٍ وألمٍ: اللَّعنةُ عليكِ
يا كيَان.

ثمَّ أخرجَ الضَّابطُ صورةً أخرى، كيَان يضحكُ، وبجوارِهِ العنكبوتُ
وزهرةٌ، كأنَّهم شركاءُ لا أعداءُ.
سألتُ بصوتٍ مرتجفٍ: ومنَ هذهِ؟
أجاب: زهرةٌ، المرأةُ التي قتلتها في تلكَ اللَّحظةِ.
انهمرتِ الذكرياتُ دفعةً واحدةً، الوجوهُ، الرِّصاصُ، الدَّماءُ، الوعودُ،
الحُبُّ والخيانةُ.

بعدَ وقتٍ قصيرٍ...

كانتُ ملاكٌ ممدَّدةٌ على سريرٍ في المستشفى، وجهُها شاحبٌ وجسدها
ساكنٌ، لكنَّ عقلها كانَ يصارعُ عاصفةَ الذكرياتِ.
حولها، يقفُ الجميعُ بقلقٍ خانقٍ.
سألَ عليٌّ: مَنْ الَّذي أوصلها إلى هنا؟
أجابَ كيَانُ بصوتٍ مضطربٍ: لا نعلمُ، وجدناها هكذا.
وفجأةً، بدأتُ ملاكٌ تتحرَّكُ في نومها، همستُ بأسماءٍ متقطعةٍ: جودُ
الباشا، كيَان، عليّ، سيدهارتُ، ملكُ..
وتصبَّبَ العرقُ منَ جبينها.
اندفعَ الطبيبُ إلى الدَّاخل فورًا: إلى الطَّوارئ، بسرعةٍ!
في الخارجِ، وقفتُ آيسلُ ودموعُها تلمعُ في عينيها: أخي هلْ ستبقى ملاكٌ
هكذا؟
وضعَ أسرُّ يدهُ على كتفها وقالَ بهدوءٍ يحاولُ أنْ يستمدِّه لنفسه: ملاكُ
قويةٌ ستعودُ إلينا.

ظل الغرام

ثم التفت إلى والديه: عودوا إلى المنزل مع آيسل، سأبقى هنا وما إن تستيقظ سأخبركم فوراً.
لكن في مكان ما داخل تلك الغرفة، كانت ملاك تستيقظ على حقيقة قد تغير كل شيء، حقيقة قد تجعلها تختار بين قلبها وواجبها.

بعد ساعات طويلة من القلق والترقب، فتحت ملاك عينيها أخيراً.
تنفس الجميع الصعداء، وكأن الحياة عادت إلى المكان بعد غياب مؤلم.
ابتسمت الممرضة قائلة: يمكن لشخص واحد فقط أن يدخل.
لم ينتظر كيان ثانية واحدة: أنا.
ودخل مسرعاً، كأنه كان يخشى أن تختفي إن تأخر لحظة.
اقترب من سريرها، وعيناه تحملان من القلق ما لم يستطع إخفاءه.
لكن ما إن مدَّ يده ليعدل وسادتها، حتى ابتعدت عنه ملاك بحركة لا إرادية، امتزج فيها الخوف بالحدز.
تجمد مكانه.

ثم سأل بصوت خافت، يكاد ينكسر: ملاك... هل تخافين مني؟
أشاحت بنظرها وقالت: أنا فقط... متعبة.
وقبل أن يعلق، رن هاتفه.
أجاب سريعاً: الحملة الساعة السادسة؟ أين؟... مستودع الليل؟ حسناً.
كانت ملاك تراقبه بصمت، تلتقط كل كلمة، وكل تعبير يرسم على وجهه.

أغلق الهاتف، ثم قال: يجب أن أخرج الآن... سأعود لاحقاً.
غادر الغرفة.

وفي اللحظة التي أغلق فيها الباب، أمسكت هاتفها وأرسلت رسالة عاجلة إلى الضابط: سيدي، كيان لديه حملة في السادسة مساءً في مستودع الليل، أريد تقريراً كاملاً عما سيحدث هناك.

ظل الغرام

في اليوم التالي...

عادت ملاكٌ إلى منزلها، وقفت أمام نافذة غرفتها، غارقةً في أفكارها، حين شعرت بذراعين تلتفان حولها من الخلف، تصلبت. جاء صوتُ كيانٍ منخفضًا، لكنّه كان يحمل غضبًا مجروحًا: غدرت بي... وأنا الذي ائتمنتك على روحي.

استدارت بسرعةٍ، وابتعدت عنه.

ثمّ، دون تردّدٍ، سحبت سلاحها ووجّهته مباشرةً إلى صدره: أنت تستحقّ ما حدث... وما سيحدث.

ثبتت عيناه على السلاح.

كان سلاحه في خصره، جاهزًا.. كان بإمكانه أن ينهي الأمر في لحظةٍ. لكن كيف يقتل من تسكن قلبه؟ قال بصوتٍ مذهولٍ: ترفعين سلاحك في وجهي؟!

أجابته ببرودٍ مؤلمٍ: وإن لزم الأمر... سأقتلك.

استند إلى الحائط، أخرج سيجارته، وأشعلها بيدٍ ثابتةٍ، رغم العاصفة التي تشتعل داخله.

تأمّل وجهها طويلاً: بشرتها الشاحبة، عينيها المُرهقتين، وشعرها الأسود المُنسدل.

ثمّ قال، والنّار تلمع في عينيه: أريد أن أفهم... لماذا؟ صرخت: لأنك اختطفْتَ ضوءَ القمر! طفلةٌ صغيرةٌ، كيف استطعت؟

ساد صمتٌ ثقيلٌ.

ثمّ شرد للحظةٍ، وكأنّ ذكرى بعيدةٍ عادت إليه

ظل الغرام

كانت الطفلةُ مربوطةً على كرسيٍّ، تبكي.
اقترب منها، وجثا أمامها: .. ما اسمُكِ؟
أجابته بصوتٍ مرتجفٍ: ضوء القمر.
ثم أضافت برجاءٍ: أخي... أرجوك ساعدني.
نظر إليها طويلاً، ثم استدار ورحل.

عاد إلى الحاضر على صوت ملاك: أجبني!
قال بهدوءٍ: اتصلي بها الآن.
اتصلت.

وحين أجابت الطفلة، قالت ملاك: هذا هو الرجل الذي اختطفك.
ارتجف صوتُ الصَّغيرة، وبدأت تبكي: أنا أكرهه... لا أريده هنا.
طمأنتها ملاك: لا تخافي.
لكن كيان انتزع الهاتف منها برفقٍ، وقال بصوتٍ خنونٍ: كيف حالك يا
قمري الصَّغير؟
ساد صمتٌ قصيرٌ...
ثم جاء صوتها مليئاً بالفرح: أخي! أهذا أنت؟ اشتقتُ إليك كثيراً! خفتُ
عندما قالت أنه الخاطف... لم تقل أنه بطلي الأسمر.
تجمّدت ملاك.
وانخفض السَّلاح من يدها ببطءٍ.
نظرت إليه، والنَّدَم ينهش قلبها.
همست: أنا... آسفة.
لكن ملامحه لم تتغيَّر.
كان الألم أعمق من أن يُخفى.
نظر إليها نظرةً باردةً، وقال بصوتٍ حاسمٍ: من هذه اللَّحظة... ماتت ملاك
بالنسبة لي.
توقَّف لثانيةٍ، ثم أكمل: أنتِ الآن مجرَّد امرأةٍ تعمل في شركتي... وتدخل
عالم الظلام.
استدار وغادر.
أمّا قلبه... فلم يكن يغادر معه.
بل كان ينزف بصمتٍ، مع كلِّ خطوةٍ يبتعد بها عنها.

ظل الغرام

وصل كيانُ إلى المنزل مثقلًا بما حدث، وما إن خطا إلى الداخل حتَّى استوقفه صوتُ سالي .
كانت تقف في منتصف الصَّالة، وملامحها شاحبةٌ، وعيناها تلمعان بقلبي غريب: أخي...
والدُّنا ما زال علي قيد الحياة.
توقَّف كيانُ مكانه .

ثمَّ قال بهدوءٍ يحاول أن يبدو ثابتًا: والدُّنا مات منذ سنواتٍ، يا سالي ما بك؟
اقتربت منه بسرعةٍ، وصوتها يرتجف: أين جثته؟ لم نرها يومًا، قالوا أنَّها احترقت في
التفجير... لكنني متأكَّدة، رأيته اليوم .
تغيَّرت ملامح كيان: أين رأيته؟
أجابت دون تردُّدٍ: كان يرتدي بدلته العسكرية، ركضتُ نحوه.. كان أكبر سنًّا، وقد غزا
الشَّيْبُ شعره... لكنَّه كان هو، أنا متأكَّدة، وعندما رأيته... اختفى .
حدَّق فيها طويلاً، ثمَّ اقترب منها ووضع يده على كتفها: أبي استشهد في ذلك التفجير،
ربَّما ما رأيته كان مجرد ذكرى، أو رجلًا يُشبهه .
لكن سالي انفجرت باكيةً: لا، أخي... كان هو، أقسم لك أنَّه كان هو .
ولأوَّل مرَّةٍ منذ سنواتٍ، تسلَّل الشَّكُّ إلى قلب كيان .

في مكان آخر...

كان ضرغامُ يقف أمام جود، ونظراته مشتتةٌ بالاستياء: ألا ترى أنَّك تهدر مستقبلك؟ ما
تحققه في عام، نحصل عليه نحن في يوم واحدٍ .
ردَّ جود ببرودٍ: أنا لا أكل مالًا حرامًا .
اشتدَّ غضب ضرغام، لكن جودًا لم يتراجع: كيان ليس عدوًّا. ذنبُ والده لا يتحمَّله هو .
ثمَّ تابع بنبرةٍ حادَّةٍ: أنتم، وأعمالكم، وكلُّ ما تبنيه... قائمٌ على الظلام، لعنةُ الله على
هذا المال .

استدار وغادر، تاركًا خلفه صمتًا ثقیلاً .
وكان الباشا قد سمع كلَّ شيءٍ .
كان يحاول حمايته... ولو على حساب نفسه .
نظر ضرغام إلى الباشا وقال: دَعك منه الآن. لدينا ما هو أهم .
وما هو؟

ابتسم ضرغام ابتسامةً غامضةً: أريد ملاكًا هنا... الليلة .
عقد الباشا حاجبيه: لماذا؟ هي بعيدةٌ عن أعمالنا، وحالتها الصَّحيَّة لا تسمح .
اقترب ضرغام، وقال بصوتٍ منخفضٍ: الفراولة... والطوق .
اتَّسعت عينا الباشا بصدمةٍ: نفسهما؟
هزَّ ضرغام رأسه ببطءٍ: نعم .

ظلّ الغرام

في منزل ملاك...
كانت تجلس مع سيدهارت وملك، تروي لهما كلّ ما حدث بينها وبين
كيان.
وبعد أن انتهت، قال سيدهارت بجديّة: لقد أخطأت، يا ملاك.
رفعت رأسها نحوه.
ثمّ أكمل: الضابط لا يعرف كلّ شيء، وهناك معلومات... لا يمكنني
إخبارك بها الآن.
ضيّقت عينيها: معلومات عن كيان؟
أوما برأسه: نعم.
تدخلت ملك بفضول: وما هي؟
نظر إليها سيدهارت بحزم: ليس الآن.
شعرت ملاك بثقل يجثم على صدرها، وقّفت قائلة: أحتاج إلى بعض
الّهواء... أرجوكم، اتركوني وحدي.
خرجت تتمشّي في الخارج، تحاول أن ترتّب أفكارها.
لكنّها لم تبتعد كثيرًا.
وفجأة... شعرت بشيء خشن يُضغط على وجهها، حاولت المقاومة..
صرخت، لكنّ الصّوت اختنق، ثمّ... حلّ الظلام.

عندما استعادت وعيها، كان رأسها يؤلمها بشدّة، حاولت التّحرّك... لكنّها
لم تستطع، يداها وقدمها كانتا مقيدتين بإحكام، ورأسها مغطى بكيسٍ
أسود، سمعت أصواتًا بعيدة.
رجالٌ، خطوات.. وهمسات لا تفهمها.
ثمّ اقترب أحدهم، وتوقّف أمامها.
قال بصوت بارد، يحمل تهديدًا واضحًا: أخيرًا... وصلت إلينا يا ملاك.
وفي تلك اللحظة... أدركت أنّ اللعبة دخلت مرحلة جديدة.
مرحلة لن يكون فيها مجالٌ للخطأ.

ظلّ الغرام

كانت ملاكٌ جالسةٌ على كرسيٍّ خشبيٍّ، ويداهما مقيدتان خلف ظهرها، رأسُها مثقلٌ، وجسدها ما زال ضعيفاً من أثر ما مرّت به. رفعت عينيها بصعوبةٍ، ولم تجد في قلبها سوى اسمٍ واحدٍ خرج من بين شفّتيها المرتجفتين: كيان...

اقترب منها ضرغام بخطواتٍ بطيئةٍ، لكنّ صوته جاء حاداً كالسيف: لا تنطقي باسمه أُمّامي، لا تذكر اسم ابن عدوّي على مسامعي.

أطرقت ملاكٌ في صمت، بينما شردت عيناه بعيداً، كأنّهما تنظران إلى زمنٍ آخر... زمنٍ لم يكن فيه عدوّ ولا دماء، بل صداقةٌ وعهدٌ. عاد بذاكرته سنواتٍ طويلةً إلى الوراء؛ إلى الأيّام التي كان فيها هو وسامي _ والد كيان _ ضابطين يُشار إليهما بالبنان، كانا لا يفترقان، يخوضان أخطر المهمّات جنباً إلى جنب، يضحكان وسط الرّصاص، ويقف كلٌّ منهما ظهراً للآخر في أصعب اللحظات.

وكان كيان طفلاً صغيراً وقتها، يركض نحوهما بضحكاته البريئة، فيحمله ضرغام بين ذراعيه، يرفعه عاليًا، بينما سامي يضحك قائلاً: سيأتي يومٌ ويصبح هذا المشاغب أشجع منّا جميعاً.

ظلّ الغرام

سرعان ما تلاشت، وحلّ مكانها وجعٌ عتيقٌ.
تنفّس بعمقٍ، ثمّ جلس أمام ملاك، وصوته يختنق بالألم: أتذكر ذلك
اليوم وكأنّه حدث بالأمس...

كان في بيت الجبل، ذلك البيت الذي شهد أجمل لحظات حياته،
كانت زوجته تضحك بصوتٍ يملأ أرجاء المكان دفئاً، بينما طفلتُ
الصغيرة _ ملاك _ لم تتجاوز الثالثة من عمرها، تركض بين الزهور
حاملةً لعبتها الخشبيّة، وتبني بيتاً صغيراً بيديها الناعمتين.
كانت تضحك، تلوّح له، وتناديه: أبي... انظر! بنيتُ بيتاً لي ولك
ولأمّمي!

أغمض عينيهِ للحظةٍ، وكأنّ تلك الضّحكة ما زالت ترنّ في أذنيه.
ثمّ... في لحظةٍ، انقلب كلُّ شيءٍ.
أتاه اتصالٌ عاجلٌ من سامي، صوته كان مرتبكاً، يطلب منه الحضور
فوراً.

وما إن وصل، حتّى شعر أنّ شيئاً ليس على ما يُرام، لم تمضِ دقائقُ
حتّى دوى انفجارٌ هائلٌ، أعقبه وابلٌ من الرّصاص.
ارتطم رأسُه بشيءٍ صلب، وغاب عن الوعي.
وعندما فتح عينيه...

توقّف صوته، وارتجفت أنفاسه.
_ رأيتُ زوجتي ملقاةً على الأرض، والدّماء تحيط بها من كلّ جانبٍ،
كانت ساكنةً، باردةً.. بلا روح.

ظلّ الغرام

انكسرت نبرته، وتابع بصعوبة: أمّا المكان الذي كانت تلعب فيه صغيرتي... فلم يبقَ منه سوى رمادٍ، لعبتها الخشبيّة احترقت، وبيتها الصّغير أصبح كومةً من الحطام.

شدّ قبضتيه بقوةٍ حتّى ابيضّت مفاصله: ثمّ رأيته. رفع رأسه، وعينه تشتعلان بالهم لم يخمد منذ سنواتٍ: رأيْتُ سامي... يحمل السّلاح بيده، ويده الأخرى تضغط على رأسه، كأنّه عاجزٌ عن استيعاب ما حدث.

اندفعتُ نحوه كالمجنون، أمسكته من قميصه، وانهلتُ عليه ضرباً وأنا أصرخ: كيف فعلتها؟! كيف قتلتها وهي كانت تعتبركِ أختاً؟! كيف قتلتَ زوجتي؟! وكيف قتلتَ ابنتي؟! قل لي.. كيف؟ كان يبكي وقتها كطفلٍ فقد العالم بأسره.

أمّا سامي، فكان يحاول الدفاع عن نفسه، يُردّد مراراً: أقسم لك، لم أفعل! ضرغام، استمع إليّ! لكن ضرغام لم يكن يسمع، لم يكن يرى سوى زوجته غارقةً في دماها، وطفله وقد ابتلعها النّار.

وفي لحظة غضبٍ أعمى، رفع مسدسه وأطلق النّار على بطن سامي. سقط سامي أرضاً، بينما خرج ضرغام مترنّحاً، يسير في الشارع كمن فقد عقله، لا يسمع سوى صدى صراخه.

وبعد دقائق، عاد إلى المكان... لكن سامي لم يكن هناك، اختفى! لم يجد سوى آثار الدّماء، وسيّارة الإسعاف التي نقلت جثّة زوجته.

ظل الغرام

أما ابنته... فلم يجدوا لها أثرًا.
لا جسدًا، ولا صوتًا، ولا حتى بقايا.. فقط الرماد.
أطرق رأسه، وانخفض صوته حتى كاد يكون همسًا: ظننت أنك احترقت...
ظننت أن النار أخذتك كما أخذت أمك.
رفع عينيه إليها، وقد امتلأنا بدموع لم يستطع حبسها: ومنذ ذلك اليوم... عشت
على ذكرى موتك، وعلى نار الانتقام.
ساد صمتٌ ثقيلٌ بينهما ثم قال، بصوتٍ متحشرج: لهذا أكره سامي، ولهذا كرهتُ
كيان ليس لأنه مذنبٌ، بل لأنه يحمل اسم الرجل الذي ظننت لسنوات أنه دمر
حياتي.

كانت ملاك تنظر إليه بذهولٍ، قلبها يتخبط بين الشفقة والصدمة ثم همست،
بصوتٍ مرتجفٍ بأول شيءٍ دار في ذهنها: وماذا لو كان سامي بريئًا؟
تجمد ضرغام في مكانه، رفعت عينيه نحوه، وأضافت: ماذا لو كان هو أيضًا
ضحيةً، تمامًا مثلك؟
وفي تلك اللحظة، لأول مرة منذ سنواتٍ طويلةٍ، اهتز يقينُه، وتسلسل الشك إلى
قلب بني على الانتقام.

بعد عشرين عامًا، وقف ضرغام أمام الفتاة التي ظنَّ يومًا أن النار ابتلعته.
كان ينظر إليها وكأنه يرى شبحًا خرج من قلب الماضي، ملامحها تُشبه والدتها إلى
حدٍّ موجه، حتى أن عينيه ارتجفتا وهو يتأمل وجهها.
لكن ما جعل أنفاسه تتوقف حقًا لم يكن الشبه وحده.
كان ذلك الطوق الملتف حول عنقها، ذاك الذي نقش عليه سامي بيديه قبل
سنواتٍ، وأهداه لزوجته في ذكرى زواجهما، وبجانب الطوق، كانت ترتدي
الفراولة نفسها، القطعة التي لم تكن تملكها سوى زوجته.
تجمد في مكانه، وفي تلك اللحظة، دخل أحد رجاله يحمل ملفًا صغيرًا. أخذه
ضرغام بسرعة، وما إن فتحه حتى بدأت يدها ترتجفان، كانت نتائج تحليل
الحمض النووي.

قرأ السطر الأول، ثم الثاني، ثم أعاد القراءة مرارًا، كأنه يخشى أن يكون ما يراه
وهمًا.

رفع عينيه إليها، وعينه امتلأت بدموع حبسها عشرين عامًا.

ظل الغرام

في تلك اللحظة، فكَّ أحدُ رجاله قيودها، لكن ضرغام لم ينتظر، اندفع نحوها وضمَّها بقوة، كمن وجد روحه بعد عمر كامل من الضياع.

قال بصوت منكسر: أنا والدك يا ملاك... أنت ملاكي الصغيرة، ظننتك مت... ظننت أن النار أخذتك مني.

لكن ملاك دفعته بعيداً بعنف، وحدقت فيه بازدياء: كفى! لدي عائلة، وأنت تكذب، ما هذه المسرحية؟ ولماذا؟ أنا في النهاية أعمل ضدكم.

نظر إليها بحنان ممزوج بالألم: أنت ابنتي، وهؤلاء الذين تربيت بينهم أحبوك وربوك، لكن دمك يجري في عروقي، أمّا بشأن مهمتك... فأنا أعلم كل شيء.

تجمّدت في مكانها.

أكمل: أعلم أنك ضابطة استخبارات، وأعلم أنك دخلت هذا العالم للوصول إلى عائلة العنكبوت.

رفعت رأسها بسرعة، وقد اختفى كل شيء من حولها إلا هذه الكلمات: عائلة العنكبوت؟

أوماً برأسه: نعم، وأنا سأوصلك إليهم، سأساعدك على إنهاء مهمتك... لكن بشرط.

لكن ملاك لم تسمع بقية حديثه، كان عقلها عالقاً عند اسم واحد: عائلة العنكبوت.

قالت بلهفة: كيف؟ كيف أصل إليهم؟ أخبرني.

في الجهة الأخرى، كان كيان يقف مع جود، والقلق ينهش قلبه: أين يمكن أن يكون عمك أخذ ملاك؟

وقبل أن يكمل، وصلته رسالة.

فتحها بلا اهتمام في البداية... لكن ما إن وقعت عيناه على الصورة حتّى شحب وجهه.

كانت صورة قديمة تُظهر ضرغام وهو يطلق النار على والده، ارتجفت يدها، وسقط الهاتف من بين أصابعه.

انحنى جود والتقطه، وما إن رأى الصورة حتّى اتسعت عيناه بصدمة، التفت إلى كيان، فوجده يقف كتمثال مُحطّم.

ضمَّه جود بقوة، ولأوّل مرّة رأى كياناً يبكي بتلك الطريقة.

همس كيان بصوت مختنق: هو... هو من قتل والدي!

ظلّ الغرام

في تلك اللحظة، اندفعت سالي إلى الدّاخل وهي تصرخ: أخي! أخي! ملاك عادت! رفع كيان رأسه بسرعة، ومسح دموعه على عجل، وأخفى الهاتف في جيبه قبل أن يراه أحد، ثمّ اندفع إلى الخارج.

كانت ملاك تقف في وسط المنزل، وعيناها تنتقلان بين الوجوه التي أحبّتها وعاشت بينها.

التفتت إلى ليث، وصوتها يرتجف: أبي... تكلم، أنا ابنتكم، أليس كذلك؟ اقترب منها ليث، وعيناه دامتان: يا صغيرتي... لم يجر دمي في عروقك... لكنك ابنتي، أنا من ربّك، ليال طويلة بقيت فيها بجوارك عندما زارك المرض، فرحة غمرت قلبي في كلّ مرّة رأيتك فيها سعيدة، كيف لا أكون أباك وقد تعلق كلّ جزءٍ فيّ بك يا ابنتي؟!

لم تستطع حبس دموعها. اقتربت أكاجيم واحتضنتها قائلة: الأم ليست من تُنجب فقط... الأم هي من تُربّي وتُحب.

ثمّ ركضت آيسل نحوها: أنت أختي، وستبقين أختي مهما حدث. في تلك اللحظة، دخل أسر مسرعاً، ما إن رآها حتّى احتضنها بقوة: أختي... لكن ملاك ابتعدت عنه، وصرخت بانهايار: أنا لست أختك! أنا ابنة ذلك الحقير... ضرغام!" سقطت كلماتها كالصّاعقة.

وتجمّد الجميع. أمّا جود وسالي، فقد اتّسعت أعينهما ذهولاً. وكيان... وقف صامتاً، لم تكن صدمته في كونها ابنة ضرغام، فقد كان يشكّ بذلك، لكن سماعها تعترف بأنّها ضابطة استخباراتٍ أمام الجميع، كان كافياً ليُشعل ألف سؤال في قلبه. قالت وهي تنظر إليهم: نعم... أنا ضابطة استخباراتٍ. ساد صمتٌ ثقيلٌ.

ثمّ ركضت نحو كيان، وتمسّكت بيده: أرجوك.. أريدك أن تحميهم، أعدهم إلى بلادنا، هنا لم يعد المكان آمناً لهم. نظر إليها طويلاً، دون أن ينطق.

ظل الغرام

في صباح اليوم التالي، كانت عائلتها تستعدُّ للمغادرة.
احتضنها ليث طويلاً: تعالي معنا، يا ابنتي. لا تتركينا.
ضمّت والدتها وإخوتها واحداً تلو الآخر، والدُموع تملأ عينيها: سأعود إليكم...
أعدكم.

قال أسر بحزم: سأبقى معك.
هزّت رأسها برفض: لا، ستذهب معهم.. أنت من سيحميهم.
ثم ابتعدت قليلاً، وعادت تحمل حقيبة صغيرة، فتحتها وأخرجت منها عدة
أسلحة، وناولتها لآسر: هذه أسلحة والدي، أخفوها جيّداً.. عندما تصلون إلى
البلاد، سيؤمّنكم زملائي هناك، أمّا هنا... فكيان سيحميكم.
توقّفت، ونظرت نحو كيان: إن وافق على ذلك طبعاً.

في مكانٍ آخر، داخل غرفة يغمرها الضوء الخافت، وقف أحد رجال
الاستخبارات أمام رجل جلس في صمتٍ مهيب.
قال العنصر بجديّة: سيدي، عائلة ملاك تستعدُّ للمغادرة، الجميع علم الآن
أنّها ضابطة استخبارات، وإذا انكشف أمرها بالكامل، فسيعرفون أيضاً حقيقة
سيد هارت، عندها ستضيع خمس سنواتٍ من العمل والتخطيط.
توقّف للحظة، ثم أضاف: وهناك أمرٌ آخر... وصلت رسالة إلى كيان، وما إن رآها
حتّى ارتجفت يدها.

رفع الرجل رأسه ببطء.. كان سامي.
شحب وجهه، وعادت به الذكرى عشرين عاماً إلى الوراء.
كان ينزف بشدّة، والرّصاصة تستقرُّ في بطنه، لكنّه لم يشعر بالألم بقدر ما شعر
بالرّعب على الطّفلة الصّغيرة التي كانت تبكي بجواره.
كانت ملاك، صغيرة جداً، ترتجف من الخوف، حاولت الكلام، لكن الصّدمة
عقدت لسانها، فلم يخرج منها سوى بكاءٍ متقطّع.
حملها سامي على كتفه، رغم جرحه، ومشى بها تحت جناح الليل، يتعثر لكنّه لا
يتوقّف، كان يعلم أنّ عليه إنقاذها مهما كلف الأمر.
حتّى وصل إلى منزل ليث، طرق الباب بعنفٍ، وما إن فتح ليث حتّى وضع الطّفلة
بين ذراعيه.

ظلّ الغرام

قال بصوتٍ متقطعٍ من شدة النَّزف: ليث... من اليوم هي ابنتك.
نظر إلى ملاك بحنانٍ موجوعٍ، ثمَّ أكمل: لقد فقدت النُّطق من شدة الخوف، أمانةً
في عنقك يا أخي، احمها... وكأنَّها من دمك.
أمسك بذراع ليث بقوةٍ، وقال: مهما حدث، لا تُخبر أحداً. سأعود... وعندما
أعود، سأخبرك بكلِّ شيءٍ.
ثمَّ اختفى في الظلام.

عاد سامي إلى الحاضر على صوت العنصر: سيدي؟
وقف سامي فجأةً، وعيناه تشتعلان بعزمٍ جديدٍ: يجب أن أظهر الآن... قبل أن
يرتكب كيان خطأ لا يمكن إصلاحه.
قال العنصر بقلبي: لكننا لم نصل بعد إلى الرأس الحقيقي لعائلة العنكبوت.
أجابه سامي بحزم: إذا خسرنّا كيان أو ضرغام الآن، فلن نصل إلى شيءٍ.

بعد يومين...

كانت ملاك تجلس أمام ضرغام في مكتبه، وما زالت الأسئلة تنهش عقلها.
قالت بجديّة: كيف سنصل إلى عائلة العنكبوت، يا سيّد ضرغام؟
ابتسم ابتسامةً خفيفةً، رغم حزنه: أنا والدك، يا ملاك. قلبي: يا والدي.
رفعت حاجبها، وكادت تعترض، لكنَّ الباب انفتح فجأةً.
دخل كيان يتقدّمه الغضب، وخلفه عليّ يحاول اللحاق به.
قال كيان بحدّة: عليّ، خذ ملاك واخرج.
كيان، لا تفعل... قالها عليّ محدّراً.
لكن كيان لم يستمع، أخرج سلاحه بسرعةٍ، ووجهه مباشرةً إلى صدر ضرغام.
تجمّدت ملاك في مكانها.

نظر ضرغام إليه بثباتٍ وقال: ماذا تظنُّ نفسك فاعلاً؟
كانت عينا كيان تشتعلان بالغضب والألم: أنت من قتل والدي.
وقف ضرغام ببطءٍ، وقال بصوتٍ مبجوح: ووالدك حرمني من ابنتي عشرين
عاماً.. وحرمني من زوجتي، قتل المرأة التي كانت تعتبره أختاً.

ظل الغرام

ثمّ التفت إلى ملاك، وعيناه تفيضان وجعاً: لقد قتل والدتك، يا ملاك.
صرخ كيان: والدي ليس قاتلاً! أنت تكذب!
وشدّ على زناد سلاحه.
في تلك اللحظة، اندفعت ملاك بسرعة ووقفت أمام ضرغام، تحميه
بجسدها: هذا والدي، يا كيان!
نظر إليها كيان بصدمة، ثمّ قال بصوت مكسور: لا تخونيني مرّةً أخرى...
ابتعدي.
لكنّها لم تتحرّك.
ساد صمتٌ مشحونٌ، قبل أن يتكلّم ضرغام بمرارة: والدك خانني.
وفجأةً...
دوّى صوتٌ عميقٌ من عند الباب: أنا لم أخنك.
تجمّد الجميع.
التفتت الأنظار ببطءٍ نحو مصدر الصوت.
وقف رجلٌ عند العتبة، ملامحه تحمل آثار السنين، لكنّ حضوره ما زال
قويّاً كما كان.
شهقت ملاك، ووضعت يدها على فمها.
سقط سلاح كيان من يده.
أمّا ضرغام، فأتسعت عيناه كأنّه يرى شبحاً عاد من بين الأموات.
همس بصوتٍ مرتجفٍ: ...سامي!!
تجمّد الجميع في أماكنهم، وكأنّ الزّمن توقّف عند تلك الجملة.
كان الصّمت كثيفاً، خانقاً، لا يُقطعه سوى صوت أنفاسٍ متسارعةٍ
وقلوبٍ تضرب بعنفٍ.
تقدّم الرّجل خطوةً إلى الأمام، ملامحه متعبّة، لكنّ عينيه... ما زالتا
تحملان نفس القوّة التي عرفها الجميع يوماً.
همس ضرغام، وصوته يرتجف رغم محاولته الثبات: ...سامي؟

ظل الغرام

رفع الرجل نظره إليه، وقال بثباتٍ موجه: نعم... أنا، يا ضرغام.
ارتجفت يد ضرغام، وتراجع خطوةً، كأنَّ الأرضَ لم تعد ثابتةً تحت قدميه:
مستحيل... أنت متَّ! رأيتُك... رأيتُك ملطَّخًا بالدماء، والسَّلاح بيدك!
شدَّ سامي على فكه، واقترب أكثر: ورأيتَ زوجتك مقتولة... أليس كذلك؟
صرخ ضرغام بغضبٍ وانفجارٍ: رأيتُ كلَّ شيء! رأيتُك تحمل السَّلاح! من
غيرك فعلها؟!

تدخَّل كيان بصوتٍ مشدودٍ: أجب! هل قتلتها أم لا؟!
نظر سامي إلى كيان، نظرةً طويلةً امتلأت بما لم يُقل، ثم أعاد عينيه إلى
ضرغام: لو كنتُ أنا من قتلها... هل كنتُ سأحمل طفلتك وأنقذها؟
تجمَّد ضرغام: ماذا؟

أكمل سامي، وصوته يزداد حدَّةً: تلك اللَّيلة... كنَّا جميعًا هدفًا، لم تكن
زوجتك وحدها.

اقترب خطوةً أخرى، وكأنَّه يعيد المشهد أمامهم: وصلتُ بعد أن تلقيتُ
اتصالًا... وعندما دخلت، كان المكان مدمرًا، رجالٌ ملثَّمون، نارٌ، وصراخٌ.
بدأت أنفاس ملاك تتسارع دون وعي
وأكمل: رأيتُ زوجتك... كانت تنزف، حاولتُ إسعافها... لكنَّ رصاصةً
أصابتني من الخلف.

وضع يده على بطنه، وكأنَّه يشعر بالألم مجددًا.
سقطت... والسَّلاح وقع بيدي، في تلك اللَّحظة.. استفقتَ أنت.
ارتجف ضرغام، وكأنَّ أجزاء الذِّكرى بدأت تعود بشكلٍ مشوَّه.
_كنتُ أصرخ... أقول إنِّي لم أفعل، لكنَّك لم تسمع.
انخفض صوت سامي، وامتلاً ألمًا: كنتَ ترى فقط ما أرادوا لك أن تراه.
ساد الصَّمَت لثوانٍ، قبل أن يقول ضرغام بصوتٍ مكسورٍ: ومن... هم؟
رفع سامي عينيه، وقال بوضوحٍ: عائلة العنكبوت.

ظل الغرام

ارتجف الجميع.
تابع: هم من قتلوا زوجتك، وهم من خطّطوا لكلّ شيء، أرادوا كسرنا،
تفريقنا، وتحويلنا إلى أعداء.
نظر إلى كيان: وأرادوا أن يكبر أبناءنا وهم يحملون الكراهية بدل الحقيقة.
شدّ كيان قبضته، وصوته خرج خافتًا: ولماذا... لم تعد؟ لماذا تركتنا نعيش
هذا الكذب؟
أغمض سامي عينيه للحظة، ثمّ قال: لأنني كنتُ مُطارَدًا، لو ظهرتُ... لمات
كلُّ من بقي حيًّا منكم.
فتح عينيه ونظر إليه مباشرة: اخترتُ أن أكون ميّتا... لأحميك.
اهتزّ شيءٌ في داخل كيان، لكنّه لم يتكلّم.
أمّا ضرغام... فكان واقفًا كمن انهار داخليًا دون أن يسقط.
تمتم: عشرون عامًا... عشرون عامًا وأنا أكرهك، وأنت بريء؟
اقترب منه سامي ببطء، وقال: وأنا عشتُ عشرين عامًا أراقبك من بعيد...
وأعرف أنّك تحترق.
سقطت دمعَةٌ من عين ضرغام دون إذن.
فجأةً صرخ، وضرب الطاولة بقبضته: لماذا لم تبحث عني؟! لماذا لم تثق
بي؟!
ردّ سامي بقسوةٍ صادقة: لأنّك لم تثق بي أنت أيضًا.
ساد الصمت... لكن هذه المرّة كان مختلفًا.
لم يكن صمتٌ صدمة، بل صمتٌ حقيقةٍ ثقيلة.
وقفت ملاك، تنظر بينهما، وقلبها يتمزّق بين رجلين كلاهما يحمل جزءًا من
حياتها.
همست: إذا كان كلّ هذا صحيحًا...
رفعت عينيهما، وقد امتلأتا بالدموع والغضب: فمن بدأ كلّ هذا؟ من دمّرنا؟
نظر سامي وضرغام إلى بعضهما...
ثمّ قالًا معًا، بصوتٍ واحدٍ: العنكبوت.

ظلّ الغرام

ساد الصّمت للحظاتٍ، قبل أن يكسره سامي بنبرة حاسمة: لا وقت للانهيار،
العنكبوت لن ينتظر حتّى نستوعب الحقيقة.
رفع نظره إلى الجميع: إن أردنا إسقاطهم... فعلينا أن نعمل معًا.
نظر ضرغام إليه طويلاً، ثمّ قال بصوتٍ مثقل: عدوّي كان أمامي طوال هذه
السّنوات... وأنا أعمى.
تنفّس بعمقٍ، ثمّ مدّ يده: لكن ليس بعد الآن.
تردّد سامي لثانية... ثمّ صافحه.
اتّفاقٌ وُلد من رماد عشرين عامًا.

قال سامي: لدينا خيطٌ، رجلٌ يُدعى الكافر... ليس قائدًا، لكنّه مفتاح.
تقدّم عليّ: سمعتُ عنه. وسيطٌ تهريبٍ بين العنكبوت وعائلة الباشا.
أكمل سيدهارت: وهو الذي يوزّع المعلومات المشفرة، إذا سقط... سنكشف
نصف الشبكة.
نظرت ملاك بتركيز: أين نجده؟
أجاب ضرغام: مستودعٌ قديمٌ في أطراف المدينة... يسمّونه مستودع اللّيل.
شدّ كيان قبضته: إذاً ننهيه الليلة.

ليلٌ ثقيلٌ...
سيّاراتٌ سوداءٌ توقّفت على مسافة.
تحركّ الجميع بصمتٍ، كيان وسامي من الجهة اليمنى، ضرغام وجود من الخلف
ملاك، سيدهارت، وعليّ للتّغطية.
همس سامي: لا إطلاق نارٍ إلّا عند الضّرورة، نريده حيًّا.
نظر إليه كيان دون ردّ.

في لحظةٍ واحدةٍ، انفجرت الأبواب.
صرخاتٌ، رصاصٌ، ظلالٌ تتحرّك بسرعةٍ.

ظل الغرام

أسقط كيان رجلين في ثوانٍ، بينما تقدّمت ملاك بدقّةٍ باردةٍ.
أشار عليّ: هناك!
كان الكافر يحاول الهرب من بابٍ جانبيّ.
ركض خلفه كيان، وتبعه سامي.
أمسك به كيان وطرحه أرضاً بعنفٍ، ووضع السّلاح على رأسه.
صرخ سامي: لا تُطلق! نحتاجه!
كان الكافر يلهث، وعينه تترتجفان: تأخّرتُم... العنكبوت يعرف كلّ شيءٍ...
انحنى سامي: من هو؟ من يقود الشّبكة؟
ضحك الكافر بسخريةٍ مريضةٍ: أنتم تقاتلون ظلّاً... الرأس ليس هنا...
ضغط كيان السّلاح أكثر: تكلم!
ابتسم الكافر ببطءٍ: العنكبوت ليس شخصاً، بل دائرة.
نظر إلى ملاك: والأخطر... أن أحدكم كان دائماً قريباً منهم.
ارتجفت الأنفاس.
فتابع: هناك خمسةُ أسماءٍ، العمود الفقري للشّبكة: الوسيط، المموّل، الذّراع
العسكريّ، العقل الاستخباراتيّ والظلّ"
تبادل الجميع النظرات.
سأله سيد هارت بسرعةٍ: ومن الظلّ؟
همس الكافر: الذي لا يُرى... لكنّه يرى الجميع.
ثمّ ضحك: وقد يكون... بينكم.
صرخ سامي: كفى! سنأخذه ونستخرج كلّ شيءٍ.
لكن... في لحظةٍ خاطفةٍ، أطلق كيان النّار.
رصاصةٌ مباشرةٌ في رأس الكافر.
سقط جسده بلا حراكٍ.

ظلّ الغرام

تجمّد الجميع.

صرخ سامي بغضبٍ لم يُر مثله: ماذا فعلت؟!

نظر إليه كيان ببرودٍ قاتلٍ: أنهيته.

تقدّم سامي ودفعه بقوة: كان مصدرنا الوحيد!

ردّ كيان بصوتٍ مشتعلٍ: أمثاله لا يتكلّمون... بل يساوّمون!

وكنا سنجبره على الكلام!... صرخ سامي.

اشتدّ الصّمت...

ثمّ قال سامي، بصوتٍ منخفضٍ لكنّه أخطر: هذه ليست طريقتنا... نحن لسنا

مثلهم.

اقترب كيان، وعيناه تحترقان: أنا لستُ شرطياً مثلك.

وأنا لم أعد أريدك مجرماً!.. ردّ سامي.

تجمّد كيان.

تابع سامي، وألمه واضحٌ: كان يجب أن تُسلّمه للعدالة، لا أن تحكم عليه

بنفسك.

ضحك كيان بسخريةٍ مرّةٍ: العدالة؟ هذه التي جعلتك تختفي عشرين عاماً؟

ضربةٌ موجعةٌ.

ساد الصّمت.

قال سامي بهدوءٍ ثقيلٍ: أنا اختفيتُ لأحميك... لا لأراك تتحوّل إلى ما كنا

نحاربه.

أخفض كيان سلاحه ببطءٍ...

لكنّه لم يعتذر.

تقدّمت ملاك، تنظر إلى الجثة، ثمّ قالت: قتلته... لكنّه أعطانا ما يكفي.

نظروا إليها.

ظل الغرام

أكملت: خمسة أشخاص... هذا يعني أننا نستطيع تفكيكهم واحدًا واحدًا.
رفع سيدهارت نظره: لكنّه قال شيئًا أخطر...
همس عليّ: أن أحدنا... قد يكون قريبًا منهم.
ساد الصمت، ونظرات الشك بدأت تتحرّك بين الجميع.

تراجع صديّ الطلقة، لكن أثرها ظلّ معلقًا في الهواء كجرح مفتوح.
نظر سامي إلى الجثة، ثم إلى كيان، وصوته خرج منخفضًا لكن حادًا: لم
تُنهِه... بل عقدت كلّ شيء.
لم يُجب كيان، فقط أدار وجهه، وكأنّ ما فعله أمرٌ محسومٌ لا رجعة فيه.

في منزل كيان، اجتمع الجميع.
الوجوه متعبة، العيون يقظة، والتوتر يملأ المكان.
كانت ملاك واقفة قرب النافذة، بينما جلس جود واضعًا يديه خلف رأسه:
رائع... قتلنا مصدرنا الوحيد، والآن لا نعرف من نطارده.
رمقه كيان بنظرة حادّة: اختر كلماتك.
تدخلت ملك بسرعة: كفى... الصراخ لن يعيد شيئًا.
أمّا سالي، فكانت تراقب بصمت، قبل أن تقول بهدوء: لكنّه لم يمت بلا
فائدة... لقد تكلم.

نظر الجميع إليها.
قالت ملاك: خمسة... هذا ما قاله.
رفع سيدهارت رأسه، وقد بدا أنّه كان ينتظر هذه اللحظة: ليسوا مجرد
خمس... بل بنية كاملة.
تقدّم خطوة، وصوته أصبح أكثر رسميّة: الوسيط، الممول، الذراع
العسكري، العقل الاستخباراتي والظل.
سأله جود: وأنت تعرف شيئًا عنهم، صحيح؟
سكت سيدهارت لحظة...
ثمّ التفّت نحو سامي.

ظلّ الغرام

اعتدل واقفاً، وقال بوضوح: سيدي.
تجمّد المكان، نظر كيّان إليه بحدّة: ماذا قلت؟
تابع سيدهارت بثبات: كنتُ أعمل تحت إمرته... قبل خمس سنوات.
ارتجفت عينا ملاك: سيدهارت...؟
أكمل: كنتُ عنصراً ضمن وحدة سرّيّة تتعقب العنكبوت.
نظر إلى سامي: لكنّ العملية انهارت... وتفرّقنا.
هزّ سامي رأسه: لم تنهر... تمّ إفشالها من الداخل.
ساد الصّمت.
فتح سيدهارت ملفاً كان بحوزته، ووضعه على الطاولة: بعد سنواتٍ من
التّتبّع... وصلتُ إلى أوّل اسم.
اقترب الجميع.
فتح الصّفحة... صورة، واسم.
قال: الوسيط.
رفع عينيه: اسمه... موافق.
تبادلت النظرات.
قال عليّ: موافق؟ هذا اسمٌ متداول، لا يدلُّ على شخصٍ محدّد.
هزّ سيدهارت رأسه: ليس هذا موافق.
وأشار إلى الصّورة.
رجلٌ في الأربعينات... أنيق، هادئ الملامح.
لكنّ عينيه... باردتان.
قال جود: أراه للمرّة الأولى.
لكن...
سالي لم تتكلّم، كانت تحدّق بالصّورة.
ببطءٍ قالت: أنا أعرفه.
التفت الجميع إليها.

ظلّ الغرام

ابتلعت ريقها: هذا... كان يأتي إلى المنزل.

نظر إليها كيان بصدمة: ماذا؟!

كان صديق والدي... قالت بصوتٍ مرتجفٍ.

تجمّد سامي، همس: مستحيل!

تابعت: كان يزورنا كثيرًا، قبل... قبل كل شيء.

قال سيدهارت: إذا كان قريبًا منكم، وهذا يفسّر كيف اخترق كلَّ

شيءٍ.

نظر سامي إلى الأسفل، ثمّ قال: كنّا نثق به.

ردّ جود: وهذا أكبر خطأ في عالم كهذا.

شدّ كيان قبضته: أين هو الآن؟

أجاب سيدهارت: يتحرّك بحذرٍ... لكن لديّ موقعٌ محتملٌ.

تدخلت ملاك: نذهب الآن.

قال سامي بصرامةٍ: لا، هذه المرّة... سنفعلها بطريقتنا.

نظر إلى كيان تحديداً: حيّاً.

تبادل الاثنان نظرةً مشحونةً.

قبل أن يتحرّكوا، قال جود: انتظروا.

نظر إليهم: الكافر قال شيئاً...

سكت لحظةً: أن أحداً قد يكون قريباً منهم.

عمّ الصّمت.

النّظرات بدأت تتحرّك ببطءٍ، من شخصٍ لآخر.

قالت ملاك بهدوءٍ، لكن بثقةٍ: إذاً، وقبل أن نُسقط العنكبوت...

نظرت إلى الجميع: علينا أن نتأكّد، أنّا لسنا داخل شبكته بالفعل.

ظل الغرام

قالت ملك بثباتٍ، محاولةً تهدئة التوتر: إنّه فقط يحاول أن يشّت بيننا، ويفرّقنا.

ثمّ وقفت فجأةً، واستقامت، ورفعت يدها بتحيّةٍ عسكريّةٍ: سيّدي.
ابتسم سامي ابتسامةً خفيفةً.

تجمّد الجميع في أماكنهم... باستثناء سيدهارت، الذي بقي هادئاً.
نظر كيان إليهم بصدمةٍ تحوّلت سريعاً إلى غضبٍ: جميعكم... خونة؟!
ثمّ التفت إلى عليّ: وأنت... لستَ استخباراتيّاً، أليس كذلك؟
اقترب عليّ منه، وقال بهدوءٍ: أنا مخدوعٌ مثلك... يا أخي.
ثمّ غمز له بخفّةٍ.

فهم كيان الإشارة، لكنّه لم يعلّق.
سحب نفساً عميقاً وقال: بصراحة... يجب أن أخبركم بشيء.
توجّهت كلّ الأنظار إليه.

تردّد لشوان... ثمّ ثبتّ نظره على ملاك: أنت... خنتني عندما دخلتِ عالمي
كأنّك جزءٌ منه.
اشتدّت نظرة ملاك.

تابع: لكنّي كنتُ أعلم حقيقةً منذ البداية.
اتّسعت عيناها: ها؟

أكمل: عندما دخلتِ منزلي، وعندما أخذتِ الملفات... لم يكن ذلك صدفة.
أشار إلى عليّ: كنتُ خارج المنزل، لكن عليّ كان يراقبك.
اقترب خطوةً: كلّ معلومةٍ وصلتكِ، كنتُ أنا من أوصلها إليك.
همست ملاك: لكن.. لماذا؟

نظر إليها طويلاً، وقال: لأنّني... أحببتكِ.
ساد صمتٌ ثقيلٌ.

أنفاسٌ متقطّعةٌ، وقلوبٌ تضرب بعنفٍ.

ظل الغرام

ثم ضحك كيان بسخرية جارحة: لكنني لا أحب خائنة.

اهتزت ملامح ملاك.

اقترب أكثر، وكأته يريد أن يقول شيئاً آخر

لكن...

انفجرت النوافذ بصوتٍ مرعبٍ، وتطاير الرصاص في كل اتجاهٍ.

في لحظةٍ واحدةٍ، تحول المكان إلى ساحة حربٍ، صرخ سامي: احتموا!

سُحبت الأسلحة، وانتشر الجميع في مواقعهم.

ركض جود بسرعةٍ نحو سالي، أمسك يدها بقوةٍ وسحبها إلى الأعلى.

_ جود! ماذا يحدث؟! .. صرخت وهي تبكي.

_ لا تخافي.

نظر إليها، وصوته أصبح دافئاً رغم الفوضى: دموعك... تُحرقني من الداخل.

ارتجفت شفتاها: والدي عاد... لا أريد أن أفقده مجدداً.

شدَّ على يدها: لن يحدث ذلك.

أدخلها إلى غرفة كيان، فتح خزانةً مخفيةً، وأخرج سلاحاً.

وضعه بيدها: احمي نفسك، هذه الغرفة آمنة.. أكثر من أي مكانٍ.

أشار إلى الجدار: هناك بابٌ سرِّي، إذا حدث شيء، اهربي منه.

ركضت نحوه فجأةً وضمّته.

تجمّد لثانيةٍ... ثم وضع يده على رأسها.

ابتعدت بسرعةٍ: لن أبقى هنا... سأقاتل.

ابتسم رغم التوتر: عنيدة!

فتحت الخزانة: هناك أسلحة إضافية... لناخذها.

هزَّ رأسه: هيّا.

نزلا سريعاً، وكانت الفوضى قد بلغت ذروتها.

رصاصٌ، صراخٌ، زجاجٌ يتكسر.

عدد المهاجمين... كبيرٌ.

ظلّ الغرام

في لحظة حاسمة، اقترب سيدهارت من ملك، وسحبها بقوة قبل أن تصيبها
رصاصة.

صرخ: قنّاص!

ردّ جود فوراً: وأنا لديّ قنّاص.

اقترب سيدهارت منه: أعطني إياه.

سلمه السلاح.

اقترب سيدهارت من عليّ، ووضع يده على كتفه: ملك... أمانةً لديك.

تجمّد عليّ: لا تتكلّم وكأنتك...

قاطع بهدوء: أعطيك روعي أمانة.

صرخت ملك: لماذا تتكلّم هكذا؟!

نظر إليها... نظرة طويلة، عميقة: لأنّي أريد أن أطمئنّ عليك.

ثمّ همس داخليّاً: وإن لم نلتق في هذه الحياة، سنلتقي في الآخرة.

مرّت عينه على الجميع: ضحكة ملاك، تهوّر كيان، حكمة سامي، صدق جود، براءة

سالي

ثمّ توقّف عند عليّ: إن لم أعد... فهي لك.

اتّسعت عينا ملك: سيدهارت!

تابع بصوتٍ منخفض: وإن عدتُ... سأجعلها حلالي.

ثمّ أكمل بصوتٍ أهدأ، مكسورٍ من الداخل: فليعلم الله أنّي أحببتك، لكنني كنتُ

أريدك بالحلال، وأنا وسط المهمة لا أستطيع التقدّم، ملك... سامحيني على كلّ

دمعة هطلت من عينيك الجميلتين بسببي، فأنا كنتُ أحترق.

ثمّ أدار ظهره، وانطلق.

صعد إلى موقع مرتفع، استلقى، وثبّت القنّاص.

أغمض عيناً، وفتح الأخرى.

أول هدف... سقط.

لكن، عددهم كان يزداد.

ظلّ الغرام

وفي قلب الفوضى، وبين صدى الرصاص الذي لم يتوقّف، خرج كيان وجود
معا.

لم يتكلّما، فقط تحرّكا.
كانت خطواتهما سريعة، حاسمة، وكلُّ من يظهر أمامهما يسقط في لحظة.
تفرّق البقيّة، واشتعلت السّاحة بالاشتباك من كلّ جهة.
أمّا ملك... فكانت واقفةً في مكانها، كأنّ كلمات سيدهارت الأخيرة علّقتهَا
بين الحياة والموت.

خرج عليّ من زاوية المبنى، يلهث، وسلاحه قد فرغ من الذّخيرة.
تقدّم نحوه أحد المهاجمين بسرعة.

تجمّد عليّ لثانية، همس بصوتٍ منخفضٍ: الشّهادة...
في تلك اللّحظة بالذّات، انطلقت رصاصة.
لكنّها لم تصبه.

كان سيدهارت في موقعه المرتفع.. رآه!
تحرك بسرعة خاطفة، وأطلق رصاصةً دقيقةً اخترقت رأس المهاجم قبل أن
يصل إلى عليّ.
سقط الرّجل فوراً.
التقط عليّ سلاحه بسرعة، وانسحب إلى نقطة آمنة وهو يلتقط أنفاسه
بصعوبة.

وبعد دقائق من الفوضى، انتهى كلّ شيء.
صمتٌ ثقيلٌ غطّى المكان.

لكنّ الثّمَن كان باهظاً: إصابة جود في الكتف، وكيان في الرّجل، جرح
طفيفٌ في يد عليّ

ظلّ الغرام

ركضت ملاك نحو كيان فوراً: أأنت بخير؟!
ركضت سالي إلى جود وهي تبكي وتسأله السؤال ذاته.
أوما الاثنان: بخير.
لكن فجأةً...

رفعت ملاك رأسها: أين سيدهارت؟
أشار كيان إلى الأعلى: هناك.
نظرت... لكن المكان كان فارغاً.
تجمّد الجميع.

ركضت ملاك إلى الداخل بسرعة وهي تصرخ بملء حَبِّها: سيدهارت!
ارتفع التوتر مجدداً.

في غرفةٍ جانبيةٍ داخل المبنى، كان سيدهارت ممسكاً بشابٍّ من العصابة، يضغط عليه بقوةٍ: من أرسلكم؟!
الشاب يلهث: عائلة العنكبوت.
اقترب أكثر: الاسم!
لكن في لحظة خيانةٍ، المقاتل الذي بين يديه تحرّك فجأةً، وسدّد له طعناتٍ سريعةً في بطنه.

ثلاث ضرباتٍ متتاليةٍ.

ارتجف جسد سيدهارت.

ركضت ملاك إلى المكان: سيدهارت!

وصل كيان وجود بسرعةٍ: سيدهارت!

سقطت ملك على ركبتيها، تبكي بصمتٍ، اقترب سامي وضرغام، ووجوههما شاحبةٌ.

همس سامي: لا... ليس الآن.

ظلّ الغرام

رفع سيدهارت رأسه بصعوبة، والدّم يملأ كَفَّهُ.
همس بصوتٍ متقطعٍ: العميل... هو الضَّابطُ أرسلان.
تجمّد المكان.
مستحيل... قال ضرغام.
لا!.. قال سامي بصوتٍ مكسورٍ.
اقترب كيان: سيدهارت، لا تتكلّم، سننقذك.
لكن جسده كان يضعف.
نظر إليهم جميعاً، ثمّ ابتسم ابتسامةً صغيرةً: سامحوني...
ثمّ رفع إصبعه: أشهد أن لا إله إلا الله... وأنّ محمداً رسول الله.
وسقط.. مُبتسماً.

بعد يومٍ، في المقبرة.
كان الجميع يرتدون السّواد.
صمتٌ لا يُكسر.
ملاك تقف أمام القبر، وعيونها مليئةٌ بالغضب والألم.
قالت بصوتٍ منخفضٍ لكن حادّ: أمس فقدنا فرداً منا ودخل القبر.
رفعت نظرها، واشتعلت عيناها: وغداً... سنجعل من كان السّبب يلحق به.
بعد دفن سيدهارت..

لم يكن الصّمت هدوءاً، كان هدوء ما قبل الانفجار.
كانت ملاك واقفةً أمام القبر، يدها ترتجف، لكن عينيها لا تبكيان، بل
تحترقان.

اقترب سامي منها: لا تدعي الغضب يعميك.
ردّت بصوتٍ منخفضٍ: أنا لا أعمى، أنا أرى أكثر من اللازم الآن.
في تلك اللّحظة، دخل عليّ مسرعاً، وجهه مشدود: أرسلان... اختفى.
التفت الجميع.

ظلّ الغرام

قال كيّان بحدّة: اختفى؟ يعني ماذا؟
أجاب عليّ: ترك هاتفه، ملفّاته.. وكأنّه لم يكن موجودًا.
سالي همست: هذا ليس هروبًا، هذا تنظيف آثار.
أغمض سامي عينيه فجأةً.
قال بصوتٍ منخفضٍ لكنّه قاتل: أرسلان ليس مجرد عميل..
رفع رأسه: كان جزءًا من وحدتي القديمة.
تجمّد ضرغام: ماذا؟
تابع سامي: كان معنا، قبل أن يتمّ اختراق الفريق.
نظرت ملاك إليه: يعني... العنكبوت كان يعرف كلّ تحركاتكم من البداية؟
هزّ رأسه: لم يكن يعرف، بل كان يعيش داخلنا.
فجأةً...
قال جود، وهو يمسك كتفه المصاب: إذا كان أرسلان داخل وحدتكم، فكلّ ما
حدث منذ عشرين سنة، ليس صدفة.
نظر الجميع إليه.
أكمل: موت زوجة ضرغام، اختفاء سامي، سقوط الفريق، كلّها ليست أحداثًا
منفصلة.
اقترب خطوة: إنّها عمليّة واحدة، اسمها: تفكيك الظلّ.
فجأة، ضرب كيّان الجدار: كفى نظريّات!
اقترب من سامي: أنت تقول أنّ كلّ شيء كان مُخطّطًا؟ حتّى موت أمّي؟
سكت سامي.
وهذا الصّمت كان الإجابة.
اهتزّ كيّان.
اقتربت ملاك خطوة: إذا كان كلّ شيء مُخطّطًا، فمن بقي خارج اللعبة؟
قال سامي ببطء: لا أحد.
تجمّد الجميع.

ظل الغرام

ثمّ أضاف: حتّى أنا، لست متأكّداً إن كنتُ خارجها يوماً.
فتح عليّ ملفاً جديداً كان مخفياً: وجدتُ هذا في بيانات أرسال قبل اختفائه.
وضعه على الطاولة.
صورةً واحدة.

رجلٌ بلا اسم واضح، ملامحه غير مكتملة.
تحتها كلمة واحدة: الظلّ
قال عليّ: هذا ليس شخصاً، هذا مستوى أعلى من العنكبوت.
ارتجف جود: يعني العنكبوت نفسه، مجرد واجهة؟

فجأة...
انقطع التّيار، ظلام.
ثمّ رسالةٌ على كلّ الأجهزة.
صوت بارد:
"أنتم لستم من بدأ اللعبة.. أنتم فقط آخر فصل فيها."
ساد الصّمت.
ثمّ ظهرت جملةٌ أخرى:
"ملاك، ابنة ضرغام... أنتِ المفتاح."
التفتت ملاك ببطء: أنا؟
قال الصّوت:
"دمك ليس صدفة، وجودك هو سبب بقاء الشبكة حتّى الآن."
صرخ كيان: أغلق هذا!
لكنّ الصّوت تابع:
"كيان، ابن سامي... أنت الخطأ الوحيد في الخطة."
تجمّد كيان

ظلّ الغرام

سالي: أخي... ما هذا؟
جود: نحن لم نكن نطاردهم، نحن كنّا جزءاً منهم؟
ضرغام بصوتٍ مكسور: كلّ حياتي... كانت كذبة؟
سامي: لا... كانت حرباً لم نرَ طرفها الحقيقيّ.
وقفت ملاك، وعيونها مشتتة: إذا كنتُ أنا المفتاح...
نظرت إلى الجميع: فأنا سأفتح الباب.
اقترب كيان: ملاك!
لكنّها قاطعته: لا أحد سيتراجع الآن.
قال سامي بصوتٍ منخفض: الظلّ سيظهر قريباً، عندما نصل إلى آخر نقطة في الشبكة.
رفع نظره: وآخر نقطة، هي نحن.
في اللحظة التي سقط فيها التيار... لم يعد هناك صوت.
لكن الشاشة التي أمامهم أضاءت وحدها.
ظلامٌ كامل، ثمّ ضوءٌ أبيض بارد.
ظهر شخص، لكن ليس واضحاً.
وجهه كأنه غير مكتمل، كأنّ الصورة نفسها ترفض أن تُرى.
صوتٌ بطيء، ثابت، بلا انفعال:
"أخيراً... اجتمع الورثة."
تراجع الجميع خطوةً إلى الخلف.
كيان شدّ سلاحه فوراً: أظهر نفسك!
ضحكةٌ خافتةٌ خرجت من الشاشة:
"السلاح لا يُطلق على من لا يوجد في مكانٍ واحد."
قال الظلّ:
"كيان، ابن سامي"
"ملاك، ابنة ضرغام"

ظلّ الغرام

"جود، الورقة التي لم تُحسب في الحساب."
ثمّ توقّف لحظةً.
"وسالي، شاهدةُ البداية التي لا يجب أن تعيش."
صرخت سالي: أنا لست جزءاً من هذا!
ردّ الظلّ: بل أنتِ أوّل من رأى الكذبة، ولم تُصدّقها.
اقترب كيّان خطوة من الشاشة: أنتِ المسؤول عن كلّ هذا؟
ردّ الظلّ: أنا؟ لا... أنا فقط من ترك الخيوط دون قطع.
ثمّ قال الجملة التي كسرت الهواء:
"والدك يا كيّان... لم يمُت صدفة."
تجمّد كيّان، نظر إلى سامي.
سامي أغمض عينيه.
التفت كيّان نحو ملاك ببطء.
عيناه لا تحملُ غضباً... بل انهيار: أنتِ... أكنتِ تعرفين؟
قالت ملاك: كنتِ أعرف أنّ هناك شيئاً، لكن ليس هذا.
قال كيّان بصوتٍ منخفض جدّاً: كنتِ تراقبيني، وأنا كنتِ أترككِ تقتربين منّي؟
اقترب خطوة أخرى: كنتِ ترسمين طريقي إلى السّجن... وأنا كنتِ أظنّه حبّاً؟
ارتبكت ملاك: لم أكن أعلم أنّك داخل هذا كلّهُ!
ابتسم كيّان بسخريةٍ مؤلمة: كلّنا نقول الجملة نفسها... قبل أن ننهار.
فجأةً ضرب سامي الطاولة: كفى!
نظر إلى الشاشة: أنتِ تريد تفكيكنا؟ لن يحدث.
ردّ الظلّ: لقد تفكّكتم بالفعل، منذ أن بدأتُم تشقون ببعضكم.
فجأةً... صوت إطلاق نار داخليّ.
التفت الجميع.
عليّ كان ممسكاً بسلاحه، لكن ليس نحو العدو.
بل نحو الملقّات.

ظلّ الغرام

قال بهدوء: هناك شيءٌ لم أخبركم به.
توجّهت إليه كلُّ الأنظار.
أكمل: أنا لم أكن فقط عنصراً مزدوجاً، كنت أوّل اختبارٍ للعنكبوت.
صمت، ثمّ قال الجملة الأخطر: وأرسلان لم يكن الخائن الوحيد، أنا كنتُ بوابةَ
الدُّخول إليكم جميعاً.
كيان: أنت... ماذا؟
جود: عليّ، توقف!
لكنّ عليّاً رفع نظره: لو لم أكن أنا، لما وصل الظلُّ إليكم أصلاً.
ثمّ رمى سلاحه: الآن... انتهت اللعبة بالنسبة لي.
ضحك الظلّ لأوّل مرّة بوضوح:
"جميل... بدأت الطبقات تسقط."
ثمّ قال:
"الآن... المرحلة الثانية تبدأ."
انطفأت الشّاشة.
لكنّ الجملة بقيت في الهواء:
"الاختبار القادم... سيقتلُ أحدكم الآخر."
ساد صمتٌ ثقيل.
كيان ينظر إلى ملاك.
ملاك تنظر إلى سامي.
سالي تبكي بصمت.
جود يمسك كتفه المصاب.
وعليّ واقفٌ كأنّه انتهى من نفسه.
وسامي... ينظر إلى الفراغ وكأنّه يعرف أنّ الأسوأ لم يبدأ بعد.
ثمّ قال بهدوء: الظلّ لم يظهر ليكرسنا، بل ليجعلنا نختار من سنخسر أولاً.

ظل الغرام

بعد سلسلة الصراعات، لم يعد هناك فرق واضح بين العدو والصديق كما كان سابقاً، كلُّ شيء أصبح يعتمد على الحقيقة فقط.

في مقرّ العمليّة، اجتمع الجميع لأوّل مرّة دون انفجارات ولا رصاص.
كيان، ملاك، عليّ، ملك، جود، سالي، سامي، وضرغام.
صمتٌ ثقيلٌ، كأنّ العالم كلّهُ ينتظر من يكشف آخر ورقة.
فجأة أضاءت الشاشة السوداء.
وصوتٌ "الظلّ" ظهر مرّةً أخيرة:
"أنتم لا تفهمون، أنا لست شخصاً حتّى تنهوه."

قال كيان بهدوءٍ بارد: بل أنت شبكة، وأيُّ شبكةٍ يمكن إسقاطها.
تقدّم عليّ خطوة، ثمّ رفع ملفاً إلكترونيّاً: ما حدث لم يكن سيطرة... بل اختبارٌ اختراق عكسيّ.
نظر الجميع إليه بصدمة.
فأكمل: تمّ زرع إشاراتٍ داخل النظام لمحاولة دفعنا لبعضنا، لكنني تمكّنتُ من عزلها قبل أن تتحوّل إلى تحكّم فعليّ بسلوكنا.
قالت ملك ببطء: يعني، كلُّ هذا لم يكن تلاعباً مباشراً؟
أجاب عليّ: كان ضغطاً نفسياً وتحليلاً وردود فعل، ليس تحكّماً كاملاً.
اقترب من ملك: لم أكن ضدّكم، حتّى عندما ظننتم ذلك.
نظر سامي إلى كيان: وهناك شيء آخر...
صمت لحظة، ثمّ قال: كيان ليس مُجرّد طرفٍ في هذه الحرب، بل عنصرٌ استخباراتٍ تابعٌ للدولة.
تجمّد الجميع.

فقال جود: ماذااا؟

أجاب كيان بهدوءٍ دون إنكار: مهمّتي كانت اختراق العنكبوت من الدّاخل، جمع الخيوط، لا حرقها قبل اكتمال الصّورة.

ظل الغرام

ثمَّ نظر إلى ملاك: وأنتِ... دخلتِ في نطاق العملية دون علمك.
تراجعت ملاك خطوة: يعني كلُّ شيءٍ... حتّى ما شعرتَ به... كان مُرتبطًا بهذه المهمة؟

سكت كيان لحظةً، ثمَّ قال بصدقٍ منخفض: العملية نعم... لكن بعض ما حدث خرج عن السيطرة منذ زمن.
اقترب خطوة: لم أكن أتوقّع أن أفقد القدرة على الفصل بين المهمة.. وبينك.

فجأة دخل ضرغام القاعة، وقال وقد علت ملامحه ثقةٌ كبيرة: عليكم معرفة كل شيء.

أنصتوا جميعًا باهتمام
فتابع: لم يكن الهدف أن نظهر.
فلقد كنت أراقب تفكك العنكبوت من الخارج بالتنسيق مع الدولة.
نظر إلى كيان: وأبو كيان _ سامي _ كان جزءًا من هذا المسار أيضًا.
تنهّد سامي ببطء: لم تكن عمليةً واحدةً كما ظننتم... كانت تفكيكًا طويلاً لبنيةٍ واحدة، لكنّها خرجت عن مسارها أكثر من مرّة.
ثمَّ نظر إلى ملاك: ودخولك بينهم لم يكن صدفةً كاملةً... لكنّه أيضًا لم يكن بلا مخاطرةٍ حقيقية.

في تلك اللحظة بدأ النظام بالانهيار.
"فشل النظام، انهيار الشبكة... توقّف الخلايا التابعة."
احترقت الشاشات.

توقّفت الإشارات، وتفكّكت الخيوط التي كانت تربط كل شيء.
لكن بدل الشعور بالانتصار، ساد صمتٌ مختلف، أثقل، وأعمق.
قال كيان بصوتٍ منخفض: انتهى الظلّ، لكننا لم نعد كما كنّا.

ظلّ الغرام

بعد أيام...

لم يعد هناك "ظلّ" ولا شبكة، لكن لم يعد هناك يقينٌ أيضًا.
قالت ملاك: كنتُ أكرهك، ثمّ خفتُ منك، ثم اكتشفتُ أنّي لم أفهمك يوماً
كما ظننتُ.

نظر كيان إليها: وأنا دخلتُ كلّ هذا لأحميك... لكنني اكتشفتُ أنّ الحماية
أحياناً تدمّر أكثر ممّا تنقذ.

صمت...

لم تكن هناك نهايةٌ رومانسيّةٌ مثاليّة، بل إدراكٌ مشتركٌ بأنّ كلّ شيءٍ كان أكبر
من الجميع.

قال عليّ: هذه المرّة لم تكن أدوات، لكننا أيضًا لم نكن متحكّمين بالكامل.
قالت ملك: المرّة القادمة، سنختار نحن من نكون.

قال جود: الحربُ انتهت، لكنّ آثارها لم تنتهِ.
قالت سالي: والآن فقط، سنحاول أن نعيش دون خوف.

قال ضرغام: العنكبوتُ لم يكن شخصًا... كان نتيجةً أخطاءٍ تراكمت حتّى
أصبحت نظامًا.

قال سامي: وإيقافه لم يكن نصرًا، بل نهايةً مرحلةٍ كاملةٍ.

ساد الصّمت.

لم يكن صمت انتصار، بل صمت إدراك.
قال كيان في النهاية: لم ننتصر لأننا كنّا الأقوى، بل لأننا توقّفنا عن الكذب
على أنفسنا.

نظرت ملاك إليه: وربّما هذه هي أوّل مرّة نبدأ فيها فعلًا.

النَّهَايةُ
أحياناً ليست النَّهَايةُ سقوطَ عدوّ...
بل سقوطُ الوهم الذي كان يجعلُ الجميعَ يظنُّ أنَّه
يعرف الحقيقة.

وهكذا انتهت "العنكبوت"
لكنَّ أثرها لم ينتهِ.
وبدأت حياةٌ جديدةٌ، ليست نظيفة تماماً، لكنَّها
حقيقيّة.

Fatouh

ظلال الغرائز

في عالمٍ تحكمه شبكة خفية تُدعى **"العنكبوت"**،
تختلط الحقائق بالأكاذيب ويصبح الجميع جزءًا
من لعبة أكبر منهم.

"ملاك" تجد نفسها وسط أسرارٍ لم تختبرها،
و**"كيان"** يحمل ماضيًا يربطه بما لم يكن يتوقعه.
وبين **الحب** والخيانة والواجب، تتكشف الحقيقة
حتى يسقط القناع الأخير.

لكن يبقى السؤال: من ينجو عندما تنكسر الخيوط؟

